كتاب ذيل طبقات الحنابلة

للحافظ عبدالرحمن بن رجب الحنبلي

(ملامح عقدية)

الأستاذ علي بن عبدالعزيز الشبل
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً.

وبعد:

فهذه دراسة عابرة عن بعض الملامح العقدية التي بدت لي من خلال دراستي لكتاب الحافظ عبدالرحمن بن رجب الحنبلي (٧٩٥)هـ.

إذ هذا الكتاب حلقة مهمة في تراجم علماء المذهب الحنبلي، والتعريف برجاله، وعلومهم وفقههم، فقد جاء متمماً للكتاب الذي ذُيِّلَ عليه وهو «طبقات الحنابلة» للشيخ محمد بن القاضي أبي يعلى الحنبلي (٥٢٦)هـ.

تناول ابن رجب ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب فنوناً عديدة، أبان فيه عن الفقه والحديث والاعتقاد والتفسير والقراءات واللغة والأدب، فضلاً عن المقصد الأساس وهو تحرير تراجم علماء الحنابلة ممن تناولهم فيه.

وحقق هذا الكتاب مكاناً مهماً في نقد العلماء الذين خالفوا جادة أهل السُّنَّة والجماعة، أصحاب مذهب الحنابلة، في الأصول، وفي بعض القضايا، كالتمشعر أو الاعتزال أو الرفض أو نحوها من البدع، تَعَرَّض فيه الحافظ ابن رجب إلى أمثال هؤلاء، فعالج هذا الانحراف معالجة الغيور على عقيدته ومناهجها.

أيضا تَعَرَّض فيه للإشادة بعلماء الحنابلة السلفيين، المتمسكين بأصول السُّنَّة والداعين إليها، أشاد بهم في جهادهم وصبرهم ودعوتهم فضلاً عن طلبهم العلم وتعليمهم.

كما تناول مسائل العلماء التي أغربوا فيها فخالفوا الراجح من الأقوال أو المشهور والراجح من المذهب، وهو بحث عزيز نفيس من بحوث العلماء يَسُدُّ حاجة من أغراضهم العلمية الخاصة بهم.

كما أن فيه أدب وتعليم لأولئك الخائضين في الكلام على العلماء ممن قبلهم أو معاصريهم جرحاً وتعديلاً، ونقداً وثناءً، واستصواباً وتعقباً على قواعد الراسخين في العلم، المتجردين فيه لله تعالى لا لهوى أو شهوة أو غرضٍ آخر. وإن ابن رجب - رحمه الله - من أولئك الراسخين.

وهذه الملامح العقدية تناولت المباحث الآتية:

١ - تعريف بكتاب ذيل طبقات الحنابلة.
٢ - منهج الحافظ ابن رجب العام في تراجمه.
٣ - طريقة نموذجية لترجمة من متوسطي التراجم، وطريقة الحافظ في تناولها.
٤ - أثر العقيدة في تراجم الحافظ ابن رجب.
٥ - إشادة ابن رجب بعلماء أهل السُّنَّة والجماعة خصوصاً محققيهم.
٦ - طريقته في نقده وحكمه على أحوال وغرائب بعض العلماء.
٧ - موقفه من عرض مؤلفات وتصانيف العلماء المُترجمين.
٨ - موارد ابن رجب في الذيل التي عوّل على اعتمادها.
٩ - بعض الملحوظات التي بدت لي من خلال هذه المباحث.

وقد اعتمدت على الطبعة المشهورة للكتاب، المتداولة في المكتبات وبين طلاب العلم، وهي طبعة الشيخ محمد حامد الفقي، التي ألحق الذيل بكتاب طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى في أربعة مجلدات.

وهذا الكتاب - بل الأصل والذيل - يحتاجان إلى عناية خاصة من قِبَل المحققين توثيقاً وعزواً وتعليقاً وتخريجاً، وبهذه المناسبة أرشد إلى أهم المخطوطات التي ذكرت للكتاب لمن يريد العمل مجتهداً في تحقيق الكتاب، وهي:

١ - نسخة من المكتبة السعودية بدار الإفتاء بالرياض، ورقمها ١٢٤ و١٢٥ و٣٠٨ و٧٦١ في أربع مجلدات.

٢ ـ نسخة الظاهرية رقم ٣٤٢٦ في ٢٣٩ ورقة مكتوبة سنة ٨٠٠هـ.

٣ ـ نسخة الظاهرية ثانية رقمها ٣٤٢٥ في (١٥٩ ـ ٣٥١) ورقة منسوخة سنة ٨٣٤هـ.

٤ ـ نسخة مكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة برقم ٢٨١٥ في ٣٧٢ ورقة منسوخة سنة ١٣٤٤هـ.

٥ ـ نسخة في مكتبة عنيزة الوطنية بالجامع الكبير بها في ٢٥٠ ورقة، وعنها فِلْم بجامعة الإمام بالرياض رقمه ٩٧ .

٦ ـ مصورات في مكتبة الملك سعود المركزية بالرياض أرقامها:

* ٩/ ١٠ ف في ٢١٩ ورقة.
* ١١/ ١٠ ف في ٢٨١ ورقة.
* ١١/ ١٦ ف في ١٣٥ ورقة.
* ١/ ١٣٧ ح في ٣٧٠ ورقة.

وأظنها مصورة عن نسخة مكتبة الإفتاء بالسعودية.

أما بعد: فهذه الملامح العقدية، دراسة فردية ما كان فيها من صواب فهو من توفيق الله وإعانته، وما كان من خطأ أو نقص فمني والشيطان أستغفر الله منه، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

كـتاب ذيل طبقات الحنابلـة :

قد تنوعت تصانيف الحافظ ابن رجب الحنبلي في الفنون الشرعية وأدواتها، فألف في الحديث والتفسير والفقه والعقيدة . . . ومن ذلك التراجم والسير، كتب في تراجم العلماء الحنـابلة وطـلابهم، وهم الخبير بهم في كتابه الذي جعله ذيلاً على طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين بن أبي يعلى الحنبلي شاهد على مقالتي هذه.

وكتـابـه رحمه الله «الذيل على طبقات الحنابلة» لم يجيء من عالم تراجم ومؤرخ فحسب، بل جاء معلقاً من عالم فقيه محدث له قدم راسخة في العلم ظهر أثرها في باقي تصانيفه عموماً، وهذا الكتاب على جهة الخصوص، بدت هذه السمة في تراجمه وفي مدحه وذمه، واستطراده وتعقباته، وفي عرضه لأقوال العلماء في المترجم له، وفي تتبع غرائبه وزلاته واجتهاداته والكلام عليها. وفي البحوث الإسنادية والكلام على رويات الإمام أحمد وأوجه الأصحاب وطريقة عرضها. . كل هذا أظهر الميزة الفريدة لكتاب الذيل.

وهذه الناحية تراها جلية إذا ما كتب العلماء الراسخون في فن التراجم، فكان أصله المُذيِّل عليه من كتاب طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين بن أبي يعلى الحنبلي على هذا النسق حيث حوى مع تراجم أصحاب أحمد ومن بعدهم رسائل مروية عن الإمام، ومسائل سئل عنها أبوعبدالله، ونقولاً لأحواله وفتاويه، وعن كبار تلامذته لا توجد إلا في هذا الكتاب.

ثم صار هذا الذيل على جادتها العلمية، ومتواصلاً للمنهج الشمولي في صياغة تراجم أهـل العلم[1]، مكمـلاً لحلقـة طويلة في سلسلة علماء المذهب وغيرهم امتدت نحواً من ثلاثة قرون. فقال الحافظ في مقدمة ذيله الموجزة جداً:

«هذا كتاب جمعته ، وجعلته ذيلاً على كتاب «طبقات فقهاء أصحاب الإمام أحمد» للقاضي أبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلي، رحمهم الله تعالى، وابتدأت فيه بأصحاب أبي يعلى، وجعلت ترتيبه على الوفيات. والله المسؤول أن ينفع به في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه. أ. هـ.

ثم شرع بأولى التراجم من وفيات المائة الخامسة.

فهو - رحمه الله - بهذه الجمل ألمح إلى ظاهر عمله والذي بدأ من النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، إلى النصف الأول من القرن الثامن تقريباً أي من سنة ٤٦٠ إلى سنة ٧٥١هـ ضم في تلك السنين ٥٥٢ ترجمة في مجلدين. وفي آخر المجلد الثاني ضم فيه جماعة من شيوخه كابن القيم وابن النبَّاش وغيرهما.

ولما قرأت هذه التراجم أفدت منها كثيراً وفي مباحث متنوعة: عقدية وحديثية وفقهية ووعظية وتاريخية.. وبدت لي عدة نقاط انتهجها الحافظ في صياغة تراجمه تمثل الخطوط الرئيسة في المنهج العام.

المنهج العـــام في التراجم(٢):

١ - لم يطرد الحافظ منهجاً موحداً في تطويل الترجمة أو تقصيرها أو بين ذلك. حيث نجده يطيل في تراجم المشهورين من العلماء بالعلم والديانة والزهد إطالة تناسب حالهم وشهرتهم؛ بل وما اتصفوا به من العلم. ومن أولئك شيخ الإسلام الهروي وابن الجوزي والوزير ابن هبيرة، وعبدالغني المقدسي وابن تيمية.. وهي فيهم ليست متساوية؛ بل كل بما يتناسب ومقامه والكلام على حاله.

فمثلاً جاءت ترجمة الهروي الأنصاري رقم ٢٧ في ١٩ صفحة، وترجمة أبي الوفاء بن عقيل رقم ٦٦ في ٢٠ صفحة، وترجمة الوزير ابن هبيرة رقم ١٣١ في ٣٩ صفحة. وترجمة أبي الفرج بن الجوزي برقم ٢٠٥ في ٣٥ صفحة، وترجمة عبدالغني المقدسي في نحو ٢٩ صفحة وترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية برقم ٤٩٥ في ٢١ صفحة.

بينما جاءت ترجمة شيخه وأستاذه ابن قيم الجوزية برقم ٥٥١ في ست ورقات وبضعة ورقة.

والمقصود من هذا تفاوت التراجم في التطويل والإسهاب بالاستطراد في أمور تفصيلية في بعضها دون بعض حتى ربما تصل أحياناً لأناس مغمورين من الحنابلة إلى عدة أسطر وفي الترجمة رقم ٤٢٠ في ثلاثة أسطر، وهكذا.

بل إن تراجم المجلد الأول في الغالب أطول منها في المجلد الثاني. وهذا يرجع لعدة أسباب منها توفر المعلومات والمصادر الإخبارية عن المترجم له لدى الحافظ ابن رجب. لأن هذا الفن لا يقوم على مجرد الاستنباط والنظر، بل على معطيات كتب التواريخ والأخبار والرواة فطول الترجمة يتناسب مع هذا تناسباً طردياً. وعليه فمهمة المؤلف تكمن في انتقاء الخبر المناسب والموافق، واستخراج الفوائد المتعلقة منه، والتمييز بين النقول والتحكيم بين أقوالهم وهذا صنيع الحافظ في ذيله.

٢ - عامة ما يذكره الحافظ في المترجم له ولاسيما من المناقب والممادح أو ضدها من المثالب فإنه يعزوها إلى من نقلها باسمه أو اسم كتابه[1]، وأحيانا بإسناده إليه، وكذا بقية ما في المترجم من الأخبار المركزة له، وهذا يدل على تحري الحافظ ابن رجب وتثبته وتوثيقه لما ينقل.

ومن شواهد هذا ما في ترجمة جعفر بن أحمد بن السراج (٤١٧ - ٥٠٠)هـ برقم ٤٧ ذكر فيها من أشعاره العلم ومدح الإمام أحمد ماتنوعت طرق نقله كما سبق وانظره في ١/١٠١ - ١٠٢ من الذيل.

وأحياناً يغفل هذه الأساليب في الأداء، فيحتمل أنه يذكر ما يعرفه عن المترجم له أو ما سمعه عنه، وهو غالب في الأمور العادية من الولادة والنشأة والشيوخ والمحفوظات ونحوها.

وربما جمع بين النقل وما يعرفه عنه ثم يختم ذلك بتعديل المترجم له أو جرحه بعبارة قصيرة جامعة حاوية لمجمل ما قبلها، كما قال في ترجمة علي بن عبيدالله بن الزاغوني (٤٥٥ - ٥٢٧)هـ رقم ٨١ قال: . . . وكان ثقة صدوقاً صحيح السماع، حدث بالكثير. وقال عن الحافظ أبي العقل محمد البغدادي (٥٥٠)هـ ٣/٢٢٦

. . وهو ثبت إمام من بعد أن ذكر تحوله من المذهب الشافعي والعقيدة الأشعرية إلى الحنبلية مذهباً وعقيدة.

٣ - أحياناً في التراجم المطولة نسبياً يتعرض الحافظ ابن رجب للإشارة إلى تلاميذ المترجم له ممن عرفوا بالعلم واشتهروا به، ويعلو بذكرهم هذا العلم، وهذا غالب على التراجم الطويلة والمتوسطة دون القصيرة، ولكنه ليس مطرداً فربما مر على ترجمة العالم المشهور ولم يذكر أحداً من طلبته.

وهذا أيضاً يرد في ذكر شيوخ المترجم، ولكن تعداد أسماء الشيوخ يكاد يكون عاماً في جميع التراجم مع الاختلاف بكثرتهم حسب الترجمة طولاً وقصراً، بل وربما ذكر عن الشيخ ما قرأه عليه أو سمعه منه. وانظر ترجمة شيخ المذهب بدمشق وناشره في الشام أبوالفرج عبدالواحد بن محمد الشيرازي المقدسي (٤٨٦)هـ برقم ٢٨٠ في ١/ ٦٩ - ٧٠.

٤ - يعتني الحافظ ابن رجب بضبط اسم المترجم له ونسبته ويتحرى ذلك بالحروف[٤] مع تمييزه على عادة المحدثين.

كما يعتني كثيراً بتحري سنة ولادة المترجم ووفاته أو أحدهما إذا وجد إلى ذلك سبيلاً، ولهذا يجزم به في موضع الجزم، ويصرح في الظن. ولكن ربما أخر ذكر الولادة عن تقدمة الترجمة، كما ويقدم سنة الوفاة عن آخرها . . بدون اطراد محدد في هذا.

٥ - يذكر ما تميز به المترجم له في فنه الذي اشتهر به، كالإقراء في القراءات أو التحديث أو الفقه أو الوعظ أو اللغة أو الزهد والقبول عند الناس . . وأحياناً باجتماعها أو أكثرها عند العالم واحد كأبي الفرج ابن الجوزي في ترجمته رقم ٢٠٥ ومع هذا يورد من كلام المترجم له فيما اشتهر به شعراً أو نظماً أو نثراً. وفي اللغة وعلومها انظر كلامه في ترجمة عبدالله بن الحسين العكبري النحوي في ٤/ ١١٤ وما بعدها.

٦ - يعتني - رحمه الله - بذكر الفوائد العلمية المأثورة عن المترجم له في فنه الذي أجاده أو اشتغل به، وربما استطرد بإيراد الفوائد عنه مع تنوعها بحسب تلك الفوائد والمترجم له، مع عناية بتتبع أشهر غرائبه التي خالف بها المذهب أو المشهور فيه، أو خالف عامة الأصحاب. وهذه الغرائب أكثر ما تكون في المسائل الفقهية التفصيلية.

ونموذج لهذا ما في ترجمة الوزير يحيى بن هبيرة (٤٩٩ - ٥٦٠)هـ برقم ١٣١ فقال في أثناء الترجمة: وللوزير - رحمه الله تعالى - من الكلام الحسن والفوائد المستحسنة والاستنباطات الدقيقة من كلام الله ورسوله ما هو كثير جداً وله من الحكم والمواعظ والكلام في أصول السنة وذم من خالفها شيء كثير أيضاً ونذكر هنا بعض ذلك إن شاء الله تعالى.

فبدأ بذكر فوائد في التفسير، ثم نكتاً في شروح أحاديث النبي ﷺ، ثم في كلامه في السنة والعقيدة والصفات والمبتدعة والفتن .. ثم في الأعمال العامة والحكم وختمه بذكر «ما في الإفصاح عن معاني الصحاح»[٥] من الفوائد الجليلة الغريبة - كله من ٢٦٤ - ٢٨٢.

٧ - وإذا كان المترجم له من ذوي التصانيف فإن الحافظ يعتني بذكرها بأسمائها كما يصفها وموضوعها وربما حجمها من عدد المجلدات أو الأجزاء، وربما يذكر أنه اطلع عليها وربما يمدحها أو يثني عليها[٦].

وهذا في غالب التراجم وفي جميع المطولات منها.

ومن ذلك ما في ترجمة أبي عبدالله عبدالرحمن بن مندة (٤٧٠)هـ برقم ١٢ قال في ٣/٢٩، وله تصانيف كثيرة منها كتاب «حرمة الدين» وكتاب: «الرد على الجهمية» بيَّن فيه بطلان ما روي عن الإمام أحمد في تفسير حديث (خلق الله آدم على صورته) بكلام حسن. وله كتاب «صيام يوم الشك»، وانظر تعداد مؤلفات ابن عقيل وابن الجوزي وابن الزاغوني وغيرهم.

هذا وربما تعقب صاحب التصانيف فيذكر ما فاته كما جاء في ترجمته لعبدالله ابن الخشاب (٥٦٧)هـ برقم ١٤٥ في ٣/٣١٨ - ٣١٩ حيث قال «ولابن الخشاب

تصانيف، منها كتاب «المرتجل في شرح الجمل» للزجاجي وقد ترك فيه أبواباً من وسط الكتاب لم يشرحها . . ويقال: إنه كان ضيق العطن في تصنيفاته لا يتمها، وأن كلامه كان أجود من قلمه . . ».

٨ ـ للحافظ اهتمام بذكر مناقب المترجمين على أنها مسألة رئيسة في تراجمهم فلا تخلو ترجمة من تعداد مدائح ومناقب المترجم له، وهي تختلف حسب حاله وشهرته ومبلغ علمه وفضله.

ومع هذا الاهتمام إذا وجد زلة أو سقطة أو خطأ في المنقبة يراه كذلك فهو لا يتركها دون أن يتعقبها ويرد على المترجم له بها، ولا يُقرّه عليها إما تصريحاً أو تلميحاً.

فمن التصريح ما جاء في ترجمة الحسن العطار شيخ همدان (٥٦٩)هـ برقم ١٤٨ فنقل في مدحه ٣/٣٢٧: « . . . وكان حسن الصلاة لم أر أحداً من مشايخنا أحسن صلاة منه. وكان مشدداً في أمر الطهارة، لا يدع أحداً يمس مداسه (وهو نعله)، قلت هذه زلة من عالم . . .».

ومن الإنكار الإشاري ما ضمنه لترجمة إبراهيم بن عبدالواحد المقدسي (٦١٤هـ) أخي الحافظ عبدالغني المقدسي فنقل في ٤/٩٩، « . . . وكان يقضي صلوات، فربما قضى في اليوم والليلة صلوات أيام عديدة حتى كان بعض من يحكي يقول: ربما قضى الشيخ في عمره صلاة كذا وكذا مائة وقال رحمه الله: فاتتني صلاة العصر، وكنت قبل أن أبلغ، وقد أعدتها مائة مرة، وأنا أريد أن أعيدها أيضاً.

قلت الكلام في هذا: هل هو مشروع أم لا؟!» أ. هـ.
فأفهم من هذا الاستفهام نوع إنكار لطيف على ذلك الصالح رحم الله الجميع.

٩ ـ من ثنايا طريقة الحافظ في التراجم أنه إذا مر في ترجمة ما على اسم من العلماء عرضاً، وكان من المشاهير بفن من الفنون ولاسيما الحديث، فإنه يذكر ما يعبر عن منزلة ذلك العالم بوصف أو نعت يناسب مكانته أو بيان ونحوه.

فقال في ترجمة الحافظ محمد بن ناصر البغدادي «إنه من أصحاب أبي بكر الخطيب الحافظ» يعني الخطيب البغدادي، وقال: من ثم صحب أبي زكريا اللغوي . . وكانت له إجازات قديمة من أبي الحسين بن النقور والصريفي وأبي القاسم بن عليك وأبي صالح المؤذن وابن ماكولا الحافظ وغيرهم انظر في ترجمته رقم ١١٣ في ٣/٢٢٥ وما بعدها.

١٠ ـ هذا ومن أوضح معالم منهج الحافظ في سوق التراجم عنايته الظاهرة في أواخر التراجم بالمسائل الفقهية، حيث يذكر فوائد علمية عن المترجم له في الفنون والعلوم التي تميز بها، عقيدة أو تفسيراً أو حديثاً أو لغة أو وعظاً وحكماً . . وهذا في العلماء الكبار عادة، ثم غرائب المترجم الفقهية التي خالف فيها المذهب، إما مخالفة المروي عن إمامه الإمام أحمد أو جمهور أصحابه أو قياسه وتخريجه على قول الإمام وفيه إغراب، أو الإتيان بما يخالف أوجه كبار الأصحاب . . وربما طول في تعداد ذلك حسب ترتيب كتب الفقه بدءاً من الطهارة في العبادات ثم العقود والمعاملات ثم الجنايات والحدود . .

وأحياناً بتعداد الغرائب بذكر اعتراضات كبار الأصحاب وعلماء المذهب ومناقشة هذه الغريبة خصوصاً إذا وجد تصنيفاً لأحدهم حول مسألة بعينها يرد بها على آخر؛ فيذكر خلاصة ما عند المترجم له من القول الغريب وخلاصة الاعتراض عليه.

وربما ذكر عن نفسه تحريراً للمسألة بالتدليل والتعليل وردها إلى نظائرها مما نُصَّ عليه في المذهب أو اتفق عليه أو نُصَّ عليه من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته.

ونماذج هذا كثيرة منها ما جاء في ترجمة الفقيه القاضي المبارك بن علي المخرمي (٥١٣)هـ برقم ٦٧ في ٣/١٦٦ ـ ١٧٠ حيث قال: «ولأبي سعد المخرمي مع ابن عقيل مناظرة في مسألة بيع الوقف إذا خرب وتعطل ونحن نذكر مضمون المناظرة ملخصاً».

ثم ذكر قول ابن عقيل واعتراض المخرمي عليه، وردَ كُلٍّ على صاحبه معقباً برأيه على اعتراض كل منهما مصححاً ومضعفاً وموجهاً، وأطال فيها إلى نظائر تلك المسألة مما خرجاه عليه ابن عقيل والمخرمي.

ومنها استنكاره قضاء الصلوات قبل البلوغ كما في ٢ / ٩٩.

وبالجملة فهذا وأمثاله بحوث مهمة في تلك المسائل قلَّما توجد في كتب المطولات مالم تكن هي بعينها ردوداً. وهي ميزة الذيل الكبرى وإن جمع تلك الغرائب والمناقشات حولها وتصنيفها لما يُذكي النظر الفقهي في المسائل الاجتهادية، ويضبط أصول الاختلاف فيها والله أعلم!!.

كما أنه هو رحمه الله قد أغرب في مسائل كثيرة، أشار إلى ذلك ابن عبدالهادي في ذيله على طبقات الحافظ ص٣٩.

١١ ـ الحافظ ابن رجب الحنبلي له عناية بما يُرى للعالم من المنامات شهادة على تزكيته أو قبوله أو استئناساً بها على صلاحه وفضله. فإذا وقع للمترجم له منامات رؤيت له فهو يذكرها في معرض مدحه ومناقبه في آخر الترجمة غالباً بعد ذكر وفاته. وهو كثير ولا سيما في تراجم كبار العلماء والزهاد ممن ذكرهم في كتابه، وربما رواها بإسناده إلى من رأى الرؤية أو من سمعها ممن رآها. وكذا الرؤى التي رآها المترجم له. ومن نماذجه ما جاء في المنامات التي رؤيت للحافظ عبدالغني ابن عبدالواحد المقدسي الحافظ صاحب عمدة الحديث (٥٤١ ـ ٦٠١هـ) برقم ٢١٤ في أول المجلد الرابع وهو الثاني من الذيل. فذكر فيه النوعين أولها الرؤى التي رآها الحافظ عبدالغني بنفسه للنبي صلى الله عليه وسلم يسأله أو يشكو له شيئا في ص ١٧ ومن ذلك ما نقله عن الضياء المقدسي عن الحافظ عبدالغني يقول، رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يمشي وأنا أمشي خلفه إلا أن بيني وبينه رجلاً.

ثم ذكر رؤى من غيره له على تلك الصفة وفي آخر الترجمة الرؤى التي رؤيت له عند موته وبعده في ص ٣١ وما بعدها.

وأحياناً ربما ذكر كرامات وقعت للمترجم له في حياته أو بعد موته من غير المنامات وهو ليس كثيراً.

ولاشك أن الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له من الكرامات التي تكون للصالحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «رؤيا المؤمن جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة». وفي رواية أخرى في البخاري عن أبي سعيد مرفوعاً (الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبـوة) فهي حق لأن ما يراه النائم إما أن يكون خيراً صالحاً أو شراً كما ورد في حديث أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم فليتعوذ منه ليبصق عن شماله فإنها لا تضره» أخرجه البخاري.

ثم نوع ثالث هو حديث النفس، وربما رجع أحياناً إلى أحد القسمين وانظر بحث المسألة في الهدى لابن القيم في المجلد الثاني وفي أواخره، فالحمد لله الذي جعل هذه المبشرات سروراً وخيراً للمؤمنين.

١٢ ـ في آخر أكثر التراجم ـ إلى أصحابها من أهل الحديث ـ يسند الحافظ ابن رجب شيئاً مما رواه بواسطة المترجم له عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يكثر من الأسانيد، إذ الغالب أنه يسوق إسناداً وإسنادين ولعله بهذا يشير إلى اتصال سنده إلى المترجم له، وبيانا لكون المترجم له من أهل الحديث والأثر، وهذا كفعل الذهبي في تراجمه في «السـير».

١٣ ـ للحافظ ذوق واهتمام بالشعر، يظهر في تراجمه، له أيضا ملكة نقدية في معـاني الشعـر وحسنـه ومدحه، بدا هذا فيما يورده في تراجمه من انتقاء أشعار المترجمين، وجيد نظمه، فتراه يقول ومن جيد شعره ومن أشعاره الحسنة وهو يُعنى بالأغراض ذات الصلة باهتمامه من أغراض الشعر كشعر الزهد والرقائق فغالباً ما يورد من أطيب شعـر المتـرجم فيه كما فعل في ترجمة الشيخ رزق الله التميمي (٤٨٨)هـ برقم ٣١ في ٣/٧٧ وكما في ترجمة الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي في ٣/٤٢٣ وما بعدها.

وأيضاً من الأغراض المهمة لدى الحافظ عنايته بما للمترجم له من قصائد في السنة والدعوة إليها، ومدح علمائها وأصحاب المواقف فيها وسيأتي بيان ذلك في أثر العقيدة في تراجمه.

ومن أغراضه الرثاء وهو كثير كما في ترجمة نصر بن فتيان ابن المنّي (١ برقم ١٧٥ في ٣٤/٣٦٤).

هذا مع ما تجود به قريحته هو من الشعر والحكم، ولا يذكر شخصه ويكتفي بالقول: ولبعضهم أو قال أحدهم . . مخفياً بذلك نفسه وأظن هذا طلباً للإخبات وعدم إيثار عنه قول ذلك.

لأن من عادته نسبة الأقوال والأشعار إلى أصحابها رحمه الله عليه وجازاه على خفائه وإخباته الرفقة في المؤمنين دنيا وآخرة.

﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.

ومن أغراضه أيضاً الغزل العذري، حيث يستحسن من المترجمين جميل ما قالوه فيه، كما نقله ترجمة محيي بن نجاح اليوسفي (١٥٦٩هـ برقم ١٥٢ في ٣/٣٣١ وترجمه الأديب نصر بن منصور الثميري (٥٨٨هـ) برقم ١٨٠ في ٣/٣٧٦. وأيضاً من فنونه شعر الألغاز والأحاجي الذي يقوله العلماء، مستحثين به العقول على النظر والفكر كما نقله ابن الخشاب (٥٦٧) في ترجمته برقم ١٤٥ في ٣/٣٢١.

طريقــة الحافظ ابن رجب في التراجـم:

وهو من متوسطي التراجم لا القصيرة ولا المطولة وذلك أنه يجعلها كالآتي:

١ ـ يبدأ بذكر اسم المترجم له كاملاً مع نسبته وبلده أو قبيلته وألقابه المشعره بمدحه وعلمه كالفقيه والحافظ . . ثم كنيته، ثم منزلته في الفقه أو العلم كشيخ الحنابلة وشيخ الإسلام.

٢ ـ يذكر سنة ولادته وربما اليوم والشهر في الغالب مع مكانها.

٣ ـ يورد نشأة المترجم له العلمية بدءاً من حفظه القرآن، ومشايخه، ورحلاته، ومسموعاته من العلماء وتسميتهم، وما يقع له في سفره من القراءة أو التدريس أو الرواية والإجازة ونحوها.

٤ ـ يذكر وظيفة المترجم له التي تقلدها أو منصبه، كما يذكر ما انقطع إليه من التدريس أو الإقرار أو الإسماع أو التجارة أو الصناعة مع ذلك، مع تعداد أشهر تلاميذه الآخذين عنه.

٥ ـ ينقل أقوال العلماء في المترجم له، ممن ذكروه في كتبهم، أو جالسوه وعاصروه أو أخذوا عنه، ولينقل بالسند إلى أمثالهم من متقدمي الأصحاب وكذا ينقل مناقبه وممادحه، وما برز فيه من العلوم. وما قد يصاحب هذا من النوادر عنه، والأحوال المرضية. وربما توسع في ذكر منامات رآها هو رؤيت له أو كلاهما في حياته أو بعد موته.

٦ ـ يعدد تصانيفه ـ إن كان المترجم له من المؤلفين ـ ولا يشترط استيعابها بل يذكر أكثرها وأشهرها مع وصفها في حجمها وحسنها وجودتها. كما يذكر ـ عند المناسبة ـ ما تميَّز من محفوظاته من المتون أو الكتب المطولة والمتوسطة مُشيداً بذلك.

٧ ـ لا تخلو الترجمة أحياناً من وصف خَلْق المترجم له وحجمه، ووصف أخلاقه ومكارمه وسجاياه، التي وصف بها وعرف بها.

٨ ـ كما يشير إلى ما تميز به المترجم له من سرعة كتابة أو حفظ، أو جودة قلم وثقة خط، أو حرص على العلم أو الوقت، أو عناية بالتلاميذ أو عنايته بالأمثال والحكم.. في كل حسب ما يقع منه ويناسب ذكره.

أثر العقيدة في تراجم الحافظ ابن رجب:

سبق لنا النظر في عقيدة ابن رجب ثم تتبع منهجه فيها، من طريق الدلائل

والمسائل، فخرجنا بنتيجة هي أن الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ من أهل السنة والجماعة بل من أئمتهم في القرون المتوسطة، وأنه سلفي العقيدة بالإجماع لم يؤثر عنه ما يشوب هذا أو يقدح في أصله.

وأن ميله إلى الزهد والزُّهَّاد وتخففه من الولايات والدنيا وخوضه في أحوال العارفين والمتنسكة ودندنته حول أحوالهم لا تؤثر في هذا الأصل، وما من شرط العالم ألا يخطيء أبداً..

ولما كان الحافظ عبدالرحمن بن رجب الحنبلي من كبار العلماء الحنابلة ومن ذوي الرسوخ في العلم، والأمانة والثقة فيه، ظهرت آثار ذلك كله في تناوله لتراجم أكثر من خمسين وخمسمائة عالم من علماء الأمة والحنابلة في مدحهم أو نقدهم وتتبع مؤخذاتهم التي لا يسوغ السكوت عليها.

هذا وقد عنَّت لي معالم شخصية الحافظ العقدية من خلال النظر في التراجم التي ساقها، وظهر عدم تساهله فيما يمس العقيدة وأهلها، مع التزام وصف أهلها بما يناسبهم حيالها. مما أحسب أنه أثر واضح من آثار مكانة الحافظ العقدية لدى أهل السنة والجماعة، أهل الحديث.

وهو ـ رحمه الله ـ يسمي العقيدة والتوحيد في كتابه هذا ـ على جهة الخصوص ـ بالسنة كما كان يسمِّيها السلف. فتجده يقول في التراجم: ... له قصيدة في السنة. ويعني بها الاعتقاد أو يقول: ـ كان شديداً في السنة ـ أي متمسكاً بها، مظهراً لها.

هذا وإن هذا الأثر له شواهد يمثلها ما يلي:

ـ كان يعتني بذكر فوائد المترجم له مما يتعلق بالعقيدة، فإنه يحرص على إيراده ولو جمل منه، كما في ترجمة الوزير ابن هبيرة ٣/٢٦٤ وما بعدها قال: (وله من الحكم والمواعظ والكلام في أصول السنة، وذم من خالفها كثيراً أيضاً، ونذكر هنا بعض ذلك إن شاء الله تعالى). ثم ذكر ما استلطفه منه، ويدل على رسوخ فهم الوزير وسلامة معتقده، ونقل عنه الحافظ إلى ص ٢٧٧ فانظره.

ــ كان ـ رحمه الله ـ يعقب على ما ينقله من الثنايا الموهمة بما يرفع إيهامها، ويزيل إشكالها خصوصاً في العقيدة في ترجمة شيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي الأنصاري ٢/٣، أورد أن السلطان محمود بن سبكتكين لما دخل الرَّي قتل الباطنية، ومنع سائر الفرق من الكلام على المنابر غير أبي حاتم (وهو ابن خاموش حافظ الريّ). وكان من دخل الري من سائر الفرق يعرض اعتقاده عليه، فإن رضيه أذن له في الكلام على الناس، وإلّا منعه، فلما قربت من الري كان معي في الطريق رجل من أهلها، فسألني عن مذهبي؟ فقلت (القائل هو الهروي) «أنا حنبلي». فقال: مذهب ما سمعت به، وهذه بدعة، وأخذ بثوبي وقال لا أفارقك حتى أذهب بك إلى الشيخ أبي حاتم، فقلت له: خيرة، فإني كنت أتعب إلى أن ألتقي به، فذهب بي إلى داره. وكان له ذلك اليوم مجلس عظيم. فقال: أيها الشيخ، هذا الرجل الغريب، سألته عن مذهبه، فذكر مذهباً لم أسمع به قط. قال: ما قال؟ قال: أنا حنبلي، فقال: دعه!، فكل من لم يكن حنبليا فليس بمسلم. فقلت: الرجل كما وصف لي، ولزمته أياماً وانصرفت. وإنما عنى أبوحاتم في الأصول، أي في الاعتقاد وأصول السنة إذ كل من ليس على مذهب أحمد فيها فليس على مذهب السلف الصالح من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته وتابعيهم بإحسان.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

أما المراد المذهب الفقهي والاجتهادي فليس بمراد أصلاً هنا، بل ليس بمتصور في ديننا أنه من لم يكن حنبلياً في الفروع ليس مسلماً، وهذا معلوم بالضرورة من كلام أبي حاتم وسياق القصّة، وانظر إلى ما ذكره الصرصري عن شيخه أنه سأل عبدالقادر الجيلي المعروف بالجيلاني هل كان لله وليٌّ، على غير اعتقاد أحمد بن حنبل؟ فقال: ماكان ولا يكون، من الذيل ٣/٢٩٦.

ــ ومن شواهد عنايته بالدفاع عن العقيدة وإعزازها أنه ـ رحمه الله ـ يورد في تراجمه عن العلماء ما قالوه في الدفاع عن السنة ضد المبتدعة من الرافضة والمعتزلة والجهمية والمؤولة الصفاتية، ونصرة مذهب السلف نثراً وشعراً، وكذا ثناؤهم على الأئمة أهل الحديث وتأييدهم فيما فتنوا به كالإمام أحمدبن حنبل في

فتنة القول بخلق القرآن، كما نقله في ترجمة الشيخ أحمد بن علي المقرىء الصوفي المؤدب رقم ٢٢ في ٤٦ ـ ٤٨ وقد كان شافعياً أشعرياً فتحول إلى الحنبلية السُنّية وقال في ذلك قصيدة ميمية عرض فيها باعتقاده وإيمانه في مسائل العقيدة، نقل ابن رجب منها جملاً عديدة حتى أضحت ثلثي الترجمة».

ومما في هذا، الاعتزاز بالانتساب إلى السنة وإمامها الإمام أحمد بن حنبل وضدها التعريض بالمبتدعة وكبارهم.

ـ الحافظ ابن رجب وبأمر يُلحظ عليه اهتمامه ببيان جانب الدِّيانة والتقوى والصلاح، وصفاء عقيدة وسلامة المترجمين في المنهج والسلوك، ويذكر في تراجمهم ما يؤيد هذا ويؤكده من سنتهم وزهدهم وتواضعهم، وعنايتهم بنشر العقيدة والتصريح بها ـ ولو خالفت عامة الموجودين أو السلطان ومراسيمه ـ كذا الحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على ما قد يجره ـ كما في ترجمة الشريف ابن أبي موسى العباسي عبدالخالق بن عيسى (٤٧٠) برقم ١١ في ٣/١٦ وما بعدها فما جاء في ذلك أنه: كان عالماً بالفرائض، وأحكام القرآن والأصول ـ وكان شديد القول واللسان على أهل البدع، ولم تزل كلمته عالية عليهم ولا يردُّ يده عنهم أحد وانتهى إليه في وقفه الرحلة لطلب مذهب الإمام أحمد.

وكان معظماً عند الخاصة والعامة، زاهداً في الدنيا إلى الغاية، قائماً في إنكار المنكرات بيده ولسانه مجتهداً في ذلك..

وكذلك أنكر الشريف أبوجعفر على ابن عقيل تردده إلى ابن الوليد وغيره، فاختفى مدة ثم تاب ـ أي ابن عقيل ـ وأظهر توبته وسنذكر مضمون ذلك في ترجمة ابن عقيل إن شاء الله(٧).

وآخر ذلك كله: فتنة ابن القشيري(٨)، قام فيها الشريف قياماً كلياً ومات في عقبها.

والحافظ يُصدّرُ من محامد المترجم له ما يتبين مناقبة وديانته وجهوده في إعزاز الدين وأهله ومن ذلك. أنه: أمّار بالمعروف ناهٍ عن المنكر، قوّال للحق ممن لا

مركز تحقيقات کامپیوتری علوم اسلامی

تأخذه في الله لومة لائم ـ كما في رقم ٥٢ في ١١٠/٣٠، ويذكر عن مترجمه قوته في السنة وهي العقيدة، وإذ قال عن أحد أنه كان شديداً في السنة فلا يعني التشدد المذموم شرعاً وعرفاً، بل يريد صلابته فيها، وصبره على ما يلقاه في سبيلها . . . كما في ١٧٧/٣ و ٢٠٩/٣ وأنه من المحامين عن السنة المدافعين عنها.

ويعتني بذكر انتماء الرجل المترجم له إلى أهل السنة والجماعة أو من أتباع الإمام أحمد (عقيدة وفروعاً) وانظر ترجمة أبي منصور الجواليقي شيخ أهل اللغة (٥٤٠)هـ برقم ٩٣ في ٢٠٥/٣.

وكما في ترجمة يحيى بن يوسف الصرصري (٦٥٦)هـ برقم ٣٦٩ في ٢٦٢/٤ وما بعدها، وانظر أيضاً من ترجمة العطار برقم ١٤٨ في ٣٢٧/٣. وكذا في ترجمة عبدالغني المقدسي الحافظ صاحب العمدة في ١٢/٢ وما بعدها.

ومن آثار العقيدة وحبها في قلبه عنايته بذكر منافحة العلماء المترجمين لا سيما البارزين منهم عن العقيدة ضد المبتدعة والزنادقة وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ومناصحتهم الناس والولاة في شأنها، كما ترجمه ابن عقيل ١٤٨/١ ـ ١٥٠ في مناصحة السلطان جلال الدولة ملكشاه عن الباطنية وبيان زيغهم وزندقتهم.

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

ـ ومن آثار العقيدة في منهجه استغلاله للحوادث والمناسبات التي تكون علامة على تعظيم السنة بتعظيم أهلها ضد أعدائهم أهل الأهواء والبدع، ومن ذلك جنائز أهل السنة، وارتفاع أحد علمائهم في الوعظ، واعتلاؤه كرسي التعليم والإرشاد، كما في ترجمة أبي الحسن بن القاعوس (٥٢١)هـ برقم ٧٤ في ١٧٥/٣ ـ ١٧٦ ففي يوم وفاته كان يوماً مشهوداً غلقت فيه أسواق بغداد عاصمة الإسلام، وأن الناس كانوا يصيحون في جنازته، هذا يوم سنِّي حنبلي لا قشيري ولا أشعري . .

وكذا ما نقله في وفاته وجنازة شيخ الإسلام ابن تيمية في ٤٠٧/٤ وقال: « . . . وظهر بذلك قول الإمام أحمد بيننا وبين أهل البدع يوم الجنائز» هذا مع ما يسوقه

مما وقع للمترجمين من الكرامات شاهدة لهم على فضلهم وصلاحهم، ومثنياً بها عليهم كما في ترجمته لابن الخشاب الإمام (٥٦٧) هـ ٣/٣٢٢ - ٣٢٣ وترجمة عبد الغني المقدسي برقم ٢١٤ في ٤/١٥ وما بعدها، وانظر. ترجمته للموفق ابن قدامة برقم ٢٧٢ في ٤/١٣٧ وما بعدها، ومعلوم أن أهل السنة والجماعة يعتقدون بوقوع الكرامات بعباد الله الصالحين، وأنها من الخوارق والعادات التي يجريها الله عليهم بما لا يدعون بها صلاحاً أو منزلة فوق منزلتهم. وقد صاغ عقيدة أهل السنة فيها الشيخ ابن تيمية فقال في آخر الواسطية:

«ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء، وما يجرى الله على أيديهم من الخوارق في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات. والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة . . ».

وفي سوق الشيخ لتلك الكرامات لهؤلاء العلماء رد ضمني على نفاتها من المعتزلة ومن تبعهم من الأشاعرة، ورد أيضاً على الغلاة في الكرامات والمكاشفات من الصوفية والرافضة في حق أئمتهم وعلمائهم.

ــ وللحافظ مسلك مهم في تعامله مع العلماء، ومن أثر عنهم بدع أو مخالفة عن منهج السنة، وكانوا ممن تابوا أو رجعوا - أو أن خطأهم مغفور بجانب فضلهم وجهادهم، حيث يذكرهم بالدعاء لهم بالمغفرة من الله والرحمة والمسامحة والعفو . . . من خلال التنبيه على مخالفتهم أو بدعهم. وهو والله منهج ينبىء عن نصحه الصادق للأمة ولهم، والمحبة للمسلمين وعلمائهم.

ــ ومن منهج الحافظ ابن رجب إحسانه الظن بالعلماء، وحمل ما يصدر عنهم على أحسن محامله، استصحاباً للبراءة الأصلية، وتغليباً لجانب الديانة والسلامة، ولما يتطرق إلى تفسير قوله الظاهر من المخالفات الشرعية في المعتقد والعمل.

ففي ترجمة الشيخ أبي عمرو عثمان بن مرزوق (٥٦٤)هـ شيخ طائفة المرازقة من الصوفية بمصر، برقم ١٣٩ في ٣/٣٠٨ حيث نقل عن الشيخ قوله: يجيء أسد الدين شيركوه إلى هذه البلاد - مصر - ويروح ولا يحصل له شيء، ثم يعود يجيء

ويروح ولا يأخذ البلد، ثم يجيء فيأخذ . . فيملك مصر. فجرى الأمر كما ذكر.

فقلت ياسيدي من أين لك هذا؟ فقال: والله يا ولدي ما أعلم الغيب، وإنما لي عادة أن أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أراه في بعض الجمع فيخبرني.

قال الحافظ: قلت، لعله أراد في المنام أ. هـ.

ولابد من هذا التوجيه، وإلاَّ لأدَّى إلى جنوح لمعتقد جهلة الصوفية في حضرة الرسول وما إليها.

ولا شك أن هذا بمجرده من عدم اتباع الظن بكل ما يؤدي إليه، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾ الآية من سورة الحجرات.

وكذا من منهجه الحكم على المسائل محل الخلاف بين العلماء بما عليه من معتقد السلف الصالح كما في قضية أفعال العباد في ص **٣٠٩** من ترجمة الشيخ عثمان بن مرزوق.

وللموضوع بقية في نقده وحكمه على أحوال بعض العلماء.

١٠ ـ أيضاً من آثار العقيدة عليه، أنه ينقل من شعر المترجم له ونظمه ما يخدم هذا الغرض، ويدعو إليه، حيث يورد بل ينتقي من شعره في السنة والدعوة إليها والثناء على أئمة السلف. بل وذكر اعتقاد المترجمين الذي نظموه في ذلك يحرص على ذكره في تراجمهم منبهاً به على عقائدهم. هذا النمط له شواهد كثيرة جدًّا وقد انتقيت من عيون ما في المجلد الأول من الذيل بعض الشواهد كما يلي:

عقيدة الشيخ أحمد بن على عبدالله المقرىء (٤٧٦هـ) في ترجمته برقم **٢٢**، **٣/٤٦ ـ ٤٨** ومما جاء فيها وهي قصيدة عينية:

حقيقة إيماني أقول لتسمعوا   لعلي به يوماً إلى الله أرجع
بأن لا إلـه غير ذي الطول وحده   تعالى بلا مثل له الخلق خضع

إلى آخرها.

وأيضــا ما ذكره عن شيخ الإسلام الهروي الأنصاري (٤٨١هـ) برقم **٢٧** في **٣/٥٢** وما بعدها، منها قصيدته النونية التي ذكرفيها أصول السنة، ومدح فيها الإمام أحمد ومن آخر ما نقله منها ابن رجب قوله:

أنـا حـنبلي ما حييت وإن أمت فوصيتي ذاكم إلى إخـــواني
إذ دينه ديني وديــني دينـــه ما كــنت إمّعــة لــه دينــان

وكذا ما أورده في ترجمة المحدث جعفر بن أحمد السراج (٥٠٠) برقم **٤٧** في **٣/١٠٠** وما بعدها، فذكر من ذلك قوله في مدح أحمد على الصبر في فتنة خلق القرآن:

دعـوه إلى خلق القرآن كما دعـوا سـواه فلم يسمع ولم يتـأول
ولا ردّه حــزب السياط وسجــنه عن السنّة الغراء والمذهـب الجلي
ولما يزدهم في السياق تنوشـــه فشلت يمين الضـارب المتبتـل
على قولـه القرآن وليشهد الـورى كلامـك ياربُّ الـورى كيفما تلي

إلى آخر ما نقله منها وهي قصيده لامية.

وأيضا قصيدة نونية وغيرها لابن الخشاب (٥٦٧) برقم **١٤٥** في **٣/٣٢٢** وما بعدها ومن آخر ما نقل قوله:

واستنَّ بالسلف الماضي وكن رجلاً مبرأً من دواعي الغـي والفــتن
ودَعْ مذاهب قـوم أحـدثت إثمـا منها خلاق على الآثـار والســنن

ومثله قصيدة المحدث عبدالمغيث بن زهير الحربي (٥٨٣)هـ في ترجمته برقم **١٤٤** في **٣٧/٣٥٨** في السنة ذكر الحافظ مطلعها في آخر ترجمته ومنها:

هل أنت إلا كآحـاد الذين مـضوا بحـسرة الغوت لما استيقن الخبرا
وأنت تحرص فيما أنت تاركـه إن كنت تعقـل يومـاً حقق النظرا

وأيضـا ذكـر أبياتـاً من قصائد لأبي الفتح نصر بن منصور النميري (٥٨٨هـ) ترجمته برقم **١٨٠** في **٣/٣٧٥** وما بعدها، فقد ذكر الحافظ أن له ديوان شعر حدث به. وكان فصيح القول، حسن المعان، ذا دين وصلاح وتصلب في السنة، فمن عقيدته التي سئل عنها فأنشد:

أحب علياً والبتول وولدها ولا أجحد الشيخين حق التقدم
وأبرأ ممن نال عثمان بالأذى كما أبرأ من ولاء ابن ملجم
ويعجبني أهل الحديث لصدقهم قلت إلى قوم سواهم بمتم

وغير هذا كثير، وهو كله يُنْبِىء عن محبة للعقيدة السلفية، وإشادة بها، وعناية بسوق محاسن المترجمين، وعقائدهم على السنة من أول ذلك. وهذا بلا شك من آثار عقيدته، ومحبته لعقيدة السلف رحمهم الله وأعلى ذكرهم.

إشادة الحافظ ابن رجب بعلماء أهل السنة ومحققيهم:

وهذا كثير جداً مُثْبَت في أكثر التراجم ممن لهم يد طولى في بث السنة والدعوة إليها والمنافحة عنها. وهو يبين أيضاً عن أثر العقيدة التي يعتقدها الحافظ ابن رجب، وينتسب إليها، ومنهجه الذي انتهجه لأنه يثني أو يشيد بأحد العلماء في عقيدته إلا بمن توافق معه فيها، واتحد المشرب بها عندهما.

ومن إشادته بعلماء السلف نختار نماذج متنوعة تدل عليه، وإلا فهو ـ كما أسلفت ـ من الكثرة بمكان يصعب حصره، وفي التمثيل غنية عن كثرة النقل والتطويل.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ـ فذكر الحافظ في ترجمة الشيخ الشهير عبدالقادر الجيلي ـ المشهور عند الناس بالجيلاني ـ (٤٩٠ ـ ٥٦١)هـ برقم ١٣٤ في ٣/ ٢٩٠ ـ ٣٠١.

فقال بعد أن وقف على بعض الشطحات مما تنقل عنه مما سيأتي لها بيان في ص ٢٩٦.

«وللشيخ عبدالقادر ـ رحمه الله تعالى ـ كلام حسن في التوحيد، والصفات والقدر، وفي علوم المعرفة موافق للسنة.

وله كتاب «الغنية لطالبي طريق الحق»[٩] وهو معروف . . وكان متمسكاً في مسائل الصفات والقدر، ونحوهما بالسنة، بالغاً في الرد على من خالفهما.

قال في كتابه «الغنية» المشهور: وهو بجهة العلو، مستوٍ على العرش، محتوٍ على الملك ـ محيط علمه بالأشياء ﴿**إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه**﴾.

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾

ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش كما قال:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾

وذكر آيات وأحاديث إلى أن قال: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش.

قال: وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف.

وذكر كلاماً طويلاً، وذكر نحو هذا في سائر الصفات. أ. هـ.

ـ ومما تكرر كثيراً في تمييزه في الثناء لعلماء أهل السنة تضمين مناقبهم الأوصاف الدالة على هذه الإشارة نحو:

ناصر السنة، إمام أهل الحديث، .. كان شديداً في السنة، صاحب سنة، موافق للسنة، متمسكاً بالسنة على قانون السلف، شديد القيام بالسنة والذبّ عنها والقمع لمن خالفها، كما في ترجمة عبدالغني المقدسي ٤/٩ و٣/٥١ وغيرها.

ـ ومن مواطن الإشادة بهم عند الفتن والمحن التي تجري عليهم بسبب اعتقادهم وطريقتهم فيه.

كما وقع للشريف أبي جعفر في فتنة ابن القشيري ومر طرف منها وانظرها في ترجمته برقم ١١ في ٣/١٩ ـ ٢٢.

وأطال في هذا الباب فيما جرى لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاري الهروي في ترجمته برقم ٢٧ في ٣/٥٥ وما بعدها.

فذكر أنه كان شديد الانتصار لمذهب أحمد وتعظيمه، وجرت له بسبب عقيدته محن عظيمة، فقال في ص ٥٦:

«وقد جرت لشيخ الإسلام محن في عمره، وشرد عن وطنه مدة.

وذكر ابن رجب قصيدته المشهورة بالنونية في أصول السنة، ومدح أحمد وأصحابه، ثم روى بإسناده عشرة أبيات منها، ونقل عنه: «أنه عرض على السيف خمس مرات، لا يقال له: ارجع عن مذهبك، لكن يقال له: اسكت عمن خالفك، فلا يسكت».

وقال في ترجمة شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية (٦٦١ ـ٧٢٨)هـ برقم ٤٩٥ في ٤/ ٣٩٦:

«أما محن الشيخ فكثيرة، وشرحها يطول جداً». أ. هـ، وذكر طرفاً منها في ٣٩٦ ـ ٤٠٣.

وانظر أيضاً ترجمة شيخه أبي عبدالله بن قيم الجوزية برقم ٥٥١ في ٤/٤٤٧ وما بعدها.

وأيضاً ترجمة الموفق أبي عبدالله بن قدامة ٤/ ١٣٣ ـ ١٤٨، وترجمته لعبدالغني المقدسي في أول المجلد الرابع، وفي ترجمة أبي الوفاء بن عقيل وأوبته إلى السنة في ٣/ ١٤٥ وما بعدها، وفي ثنايا ترجمة ابن الجوزي في ٣/ ٤٠٠ وما بعدها.

وترجمة ابن الزاغوني وابن حامد وعبدالقادر الجيلاني وغيرهم كثير.

نقده وحكمه على أحوال بعض العلماء:

لما كان مَنْ صَنَّف فقد استهدف، كان البحث في سير الناس وتراجمهم وأحوالهم وعلومهم .. وأهم ذلك العلماء مظنة، الوقوف على خطأ أو زلل أو نقص، لأن الله جبل البشر على النقص والجهل والظلم. ولم يكتب العصمة إلا لرسله، فيما يبلغون عنه من وحيه وشرعه.

ولما كان ليس من شرط العالم ألا يخطىء، وكان رد الخطأ على المخطىء سجية العلماء وجادتهم في كل زمان، كانت هذه الخصوصية سمة أمة محمد ﷺ

وهي في عموم قوله تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

وقبول الحق من قائله ورد خطئه عليه من أولى مايدخل في مدلول الآية.

هذا ولم يزل العلماء منذ صدر الإسلام مروراً بالقرون المفضلة ومن بعدهم حتى زماننا هذا يرد بعضهم على بعض، ويتعقب اللاحق السابق ويستدرك عليه، دون نقص في مراتبهم، أو تحقير لشأنهم لأن الغاية عند الجميع واحدة ومحمودة، وهي ابتغاء الحكمة والصواب، وهي ضالتهم المنشودة، الموصلة بهم إلى مرضاة ربهم ومحبته.

ولهذا كله ولغيره تعرض الحافظ في هذا الباب الواسع من الكتابة إلى ما انتقد على بعض المترجمين أو تعقبوا فيه، أو هو بنفسه استدركه عليهم، ولحظة في أقوالهم أو أحوالهم.

وهو كله منه نصيحة لهم ولدين الله وللمسلمين. كما في حديث أبي رقية تميم الداري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قلنا لمن يارسول الله؟ قال: لله - عز وجل - ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم في صحيحه[٩].

هكذا صنع، ولأجل هذه الغاية فعل كما نحسبه ولا نزكيه على الله، وهو أمر لابد أن يفعله - رحمه الله - لما يواجهه في مضامين التراجم مما لا يحسن سكوت مثله عليه - لا سيما أخي القارىء - إن عرفت أن تلك المؤاخذات والملاحظات إن صح التعبير - في المسائل العلمية الدينية، مسائل العقيدة والتهمة في سلامتها.. ومسائل الفقه المعتمدة على الأدلة والنظر الصحيح، لا هو نفس أو شهوة رياسة أو تعاليم أو سمعة.

ولا أظنه فعله إلا عبادة لله تعالى وقربه لديه في هذا الباب الذي لا يحسن أحد وُلُوجه:

وعبادة الرحمن غاية حبه   مع ذل عابده هما قطعان

وعليهما فلك العبادة دائر ما دار حتى قامت القطبان
ومدارة بالأمر أمر رسوله لا بالهوى والنفس والشيطان

وناحية أخرى أن هذه القضية مما تبين عن أثر العقيدة السنية السلفية ـ التي اعتقدها الحافظ ابن رجب وانتهجها ـ، على عمله، ومنه تراجمه، وهو الموضوع الذين يدندن حوله «منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة».

ولأنه يرسم الخطى الواضحة الراسخة للوالجين هذا الباب في الكلام على أخطاء العلماء وزلاتهم قديماً وحديثاً، ومنهجه وأسلوبه، ولا أحسن من عرض ذلك من خلال منهج إمام ربَّاني فيه، وهم والحمد لله كثير منهم شيخا الحافظ وهما ابن القيم وابن تيمية عليهم سحائب الرحمة والرضوان.

والحافظ من خلال التراجم يرد على المخالف له في عقيدته خطأه أو ابتداعه في مسائل محددة، أو يناقش غيره فيما تختلف فيه دلالات النصوص الشرعية والفقهية، ووجهات النظر. ومن أهمية النوع الأول انظر ما كتبه الشيخ بكر أبوزيد في «الرد على المخالف».

وشيخنا الحافظ ابن رجب نفسه أبان عن هذا الأصل في شرح الأربعين في آخر كلامه على حديث تميم الداري رضي الله عنه، ص ٨٠ فقال: «ومن أنواع النصح لله تعالى وكتابه ورسوله وهو ما يختص به العلماء رد الأهواء المضلة بالكتاب والسنة على موردها، وبيان دلالتها على ما يخالف الأهواء كلها. وكذلك رد الأقوال الضعيفة من زلات العلماء، وبيان دلالة الكتاب والسنة على ردها..» أ. هـ.

وقد بين الحافظ في رسالته «الفرق بين النصيحة والتعيير» عن أن قصد العلماء من الرد على أصحاب المقالات الخاطئة أوالضعيفة أو الأقوال المجانبة الصواب قصد مشروع وأنه في محله، لأنه المقصود منه في الظاهر رد مقالته الخاطئة لئلا يغتر بها الناس وإن بالغ في الرد والإنكار كما مانع به جماعة من السلف.

أما في الباطن فليس مقصودهم من ذلك إلا مجرد بيان الحق والدعوة ولئلا يغتر الناس بمقالاته أو أغلاطه وهذا لا ريب أنه مثاب عليه نيته وداخل في الناصحين لله ورلرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم.

أما إذا كان مراده إظهار عيب من رد عليه وتنقصه وتبين جهله وقصوره في العلم ونحو ذلك كان محرماً . . . » أ. هـ.[١٠] ومن الشواهد المبينة لنهجه ـ رحمه الله ـ في النقد والحكم هاك بعضها من خلال تراجم الذيل :

١ ـ هو مانسب إلى الشيخ أبي الوفا على بن عقيل (٤٣١ ـ ٥١٣)هـ من الميل إلى المعتزلة ، وما أثر عنه من تأويل في صفات الباري سبحانه ما صاغه الحافظ في أول ترجمته له ٣/ ١٤٤ فقال :

«والأذية التي ذكرها من أصحابه له ـ أي من أصحاب ابن عقيل ـ، وطلبهم منه هجران جماعة من العلماء نذكر بعض شرحها. وذلك: أن أصحابنا (يعني الحنابلة) كانوا ينقمون على ابن عقيل تردده إلى ابن الوليد، وابن التبان شيخي المعتزلة، وكان يقرأ عليهما في السرِّ علم الكلام، ويظهر منه في بعض الأحيان نوع انحراف عن السنة، وتأويل لبعض الصفات، ولم يزل فيه ذلك إلى أن مات ـ رحمه الله ـ.

ففي سنة إحدى وستين اطلعوا له على كتب فيها شيء من تعظيم المعتزلة، والترحم على الحلاج وغير ذلك.

فمضى ابن عقيل إلى بيت الشريف (هو أبوجعفر الحنبلي) وصالحه بخطه : يقول على بن عقيل بن محمد، إني أبرأ إلى الله تعالى من مذاهب مبتدعة الاعتزال وغيره ومن صحبة أربابه، وتعظيم أصحابه، والترحم على أسلافهم، والتكثر بأخلاقهم، وما كنت علَّقته ، ووجد بخطي من مذاهبهم وضلالتهم ، فأنا تائب إلى الله تعالى من كتابته، ولا تحل كتابته، ولا قراءته، ولا اعتقاده.

واعتقدت في الحلاج أنه من أهل الدين والزهد والكرامات. ونصرت ذلك في جزء عملته، وأنا تائب إلى الله تعالى منه، وأنه قتل بإجماع علماء عصره، وأصابوا في ذلك وأخطأ هو. ومع ذلك فإني أستغفر الله تعالى وأتوب إليه من مخالطة المعتزلة والمبتدعة وغير ذلك، والترحم عليهم، والتعظيم لهم فإن ذلك كله حرام . . » إلخ .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وأرخت التوبة في يوم الأربعاء العاشر من المحرم سنة ٤٦٥هـ وقال: «وكان ابن عقيل ـ رحمه الله ـ من أفاضل العالم، وأذكياء بني آدم، مفرط الذكاء، متسع الدائرة في العلوم، وكان خبيراً بالكلام، مطلعاً على مذاهب المتكلمين، وله بعد ذلك ذم الكلام وأهله شيء كثير، كما ذكر ابن الجوزي وغيره أنه قال: أنا أقطع أن الصحابة ماتوا، وما عرفوا الجوهر والعَرض. فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت. وذكر عنه أنه قال: لقد بالغت في الأصول طول عمري، ثم عدت القهقرى إلى مذهب المكتب (أي القرآن)، وقد حكى هذا عنه القرطبي في شرح مسلم، وله من الكلام في السنة والانتصار لها والرد على المتكلمين شيء كثير. وقد صنف ذلك مصنفاً» أ. هـ.

وانظر وصفه للحنابلة في ص ١٥٢، وذكره طريقهم في الزهد والديانة وموقفهم من الصفات والبدع، وأنه لا يعتقد طائفة محقة في الإسلام خالية من البدع غيرهم.

كما كان الحافظ ابن رجب ينصفه، ويذكر حسناته ويلتمس له العذر فيما وقع فيه لاسيما لمثله في العلم والفهم، وبعد رجوعه عن البدعة وتوبته منها فقال في ص ١٥٧: «وكان يقول: الواجب اتباع الدليل، لا اتباع أحمد. وكان يخونه قلة بضاعته في الحديث، ولو كان متضلعاً من الحديث والآثار ومتوسعاً في علومهما لكملت له أدوات الاجتهاد[١١]. وكان اجتماعه بأبي بكر الخطيب ومن كان معه في وقته من أئمة الحفاظ، كأبي نصر بن ماكولا والحميدي وغيرهما أنفع له من الاجتماع بابن الوليد وابن التبان، وتركه لمجالسة مثل هؤلاء هو الذي حرمه علماً نافعاً في الحقيقة ولكن الكمال لله».

فالحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ لم يسلك في مناقشته مسلك التعنيف أو التشديد عليه لأمرين: أحدهما توبته مما نسب إليه بعدما أثبت عليه ورجوعه عن ذلك وهذه أولاها.

وثانيها: أنه من كبار العلماء في المذهب، بل من أكبر فقهاء المذهب في عصره ولا أدل عليه من الألقاب التي لقبه بها الحافظ في تقديمه لترجمته حيث وصفه

بالمقرئ الفقيه، الأصولي، الواعظ، المتكلم أبو الوفاء، أحد الأئمة الأعلام، وشيخ الإسلام.

فلم يغفل عنه كونه متكلماً، وهكذا كان ابن عقيل مدة مخالطته المبتدعة.

ومن فقه الحافظ أن ذكر نص التوبة المشهورة عن ابن عقيل، ولم يذكر نص بدعته التي أخذ بها من تأويل الصفات على طريقة الصفاتية وما علق به من أصول الكلام، وإن كان قد صنف في توبته الأجزاء المشهورة وهما النصيحة «ورسالة إثبات الحرف والصوت رداً على الأشاعرة»[١٢].

ولاحظ أن الحافظ لم يغفل ما علق به من آثار البدعة بمجالسته للمعتزلة وأخذه عنهم الكلام سراً عندما قال: (... ولم يزل فيه بعض ذلك إلى أن مات رحمه الله).

وهي إشارة إلى النصح للأمة بأنه لما رجع إلى السنة لم يخلص من شوائب ما شابه من البدعة.

ومع هذا لم يزل الحافظ في ترجمته في كل مناسبة يلهج له بالدعاء بالرحمة والمغفرة وما يناسب مقامه من الثناء.

ولم يغفل أيضاً في مواطن أخرى ذكر أنه سبب من أسباب انحراف الشيخ ابن الجوزي في بعض مسائل العقيدة كما سيأتي، لأن ابن الجوزي أخذ عن أبي الحسن بن الزاغوني عنه.

وما أخال هذا العمل من الحافظ ابن رجب إلا دالاً على رجاحة عقله، وحسن نظره فلم يسكت عند تلك البدع عن أبي الوفاء ويتعداها وقد تاب منها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ويتعداها إلى ما يرفع به من شأنه، ولكن بيَّن التوبة تفصيلاً والبدعة إجمالاً، وصان مكانة هذا الإمام فلم ينتقصه أو يحابي فيه، وإنما استصحب توبته وفضله وعلمه في كل ترجمته!.

٢ - الحافظ ابن رجب له شخصية ظاهرة في نقده وحكمه على أحوال العلماء فلا يقلد الجارح والناقد في نقده دون تبصر، ولا يوافق المادح المتساهل، لذا يجنح

في العلماء الكبار عند نقد أحوالهم إلى التحقيق والحكم العام المجمل الذي يتضمن ما عليه هذا العالم من المخالفة أو البدعة.

وهو مع هذا تراه يحمل كلام العالم على أحسن محامله، مغلباً حسن الظن به ما وجد إليه سبيلاً من دون التعصب له، أو السكوت عن خطئه وهذا ما تراه من كبار علماء المذهب وأئمتهم.

وأيضاً يعتذر لما يقع للعالم من الخطأ بما يناسب المقام، دون الرضا بخطئه أو قبول زلته، ويحكم على آثاره وكتبه بما يعرف، وإذا قرر على العالم ما فيه مما ينافي الحق الصواب في العقيدة والفقه فهو يذكره ولا يبالي بمكانة المنقود، ولكن بأدب العلماء وتحفظ عباراتهم عن التزيد ـ لأن التزيد في النقد كالسكوت عنه، على قاعدة، كلا طرفي قصد الأمور ذميم ـ وسؤال الله أن يتسامح عما وقع منهم وأن يرحمهم.

وتطبيقاً لهذا في تحقيق الحافظ ابن رجب لمقام الشيخ أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي (٥١٠ ـ ٥٩٧)هـ لما كثر كلام الناس على زلاته فقال في ترجمته بعد أن ساق ما يناسبه من الثناء والمناقب نقلاً وإنشاء» ٤/ ٤١٤ وما بعدها.

« . . . ومع هذا فللناس فيه ـ رحمة الله ـ كلام من وجوه:

أ ـ منها: كثرة أغلاطه في تصانيفه، وعذره فيها واضح وهو أنه كان مكثراً من التصانيف، فيصنف الكتاب ولا يعتبره، بل يشغل بغيره، وربما كتب في الوقت الواحد في تصانيف عديدة، ولولا ذلك لم يجتمع له هذه المصنفات الكثيرة. ومع هذا فكان تصنيفه في فنون من العلوم بمنزلة الاختصار من كتب في تلك العلوم، فينقل من التصانيف من غير أن يكون متقناً لذلك العلم من جهة الشيوخ والبحث، ولهذا نقل عنه أنه قال: أنا مرتب، ولست بمصنف[١٣].

ب ـ ومنها: ما يوجد في كلامه من الثناء والترفع والتعاظم وكثرة الدعاوى، ولا ريب أنه كان عنده من ذلك طرف، والله يسامحـــه.

جـ ـ ومنها: وهو الذي من أجلة نقم جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم من المقادسة والعلثيين، من ميله إلى التأويل في بعض كلامه، واشتد نكرهم عليه في ذلك.

ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف، وهو وإن كان مطلعاً على الأحاديث والآثار في هذا الباب، فلم يكن خبيراً بحل شبه المتكلمين، وبيان فسادها، وكان معظماً لأبي الوفاء بن عقيل يتابعه في أكثر ما يجد في كلامه، وإن كان رد[١٤] عليه في بعض المسائل، وكان ابن عقيل بارعاً في الكلام، ولم يكن تام الخبرة بالحديث والأثر، فلهذا يضطرب في هذا الباب، وتتلون فيه آراؤه. وأبوالفرج تابع له في هذا التلون» أ. هـ.

وأنت تلمس من العرض الهدوء في النقد، والقوة في بيان البدع عنه، وعدم مجاملة أبي الفرج وهو من هو في المذهب؟

كما تلحظ بعده عن الإسفاف والتحقير، واعتداله في تحقيق حال أبي الفرج في الجملة دون التفصيل، مقابل بعض الحنابلة الذين أغلظوا على ابن الجوزي في بدعه تلك، خصوصاً في بدعة الصفاتية الكلامية.

ولعلك ـ أخي القارىء ـ إن طالعت رسالة الحافظ «الفرق بين النصيحة والتعيير» تصورت هذا النفس المتوازن من ابن رجب ـ رحمه الله ـ في معالجة هذه القضايا الحساسة، فرحمة الله عليه كيف يعطينا أنموذج الغيور ـ حقاً ـ والمدافع عن جانب العقيدة ولو كان الخطر من جهة عالم من كبار العلماء.

ومن حمله لحال العالم على خير ما يجد من المحامل، مستصحبا لحسن الظن به، دافعاً عن نفسه اتهامه، ما قدح به الشيخ عبدالقادر الجيلي في ترجمته **٣/ ٢٩٥** وما بعدها.

٣ ـ الحافظ ابن رجب الحنبلي لا يأخذ أقوال كبار العلماء في بعضهم دون تدقيق وتأمل وتحري، حتى لو كانوا من كبار أهل السنة والجماعة، مع اعتباره الواضح لحال المتكلمين منهم من ناحية التشدد أو التساهل في المسائل التي ينكرونها.

ومما يوضح هذه النظرة من الحافظ معالجته لما اتهم به الحافظ الإمام عبدالرحمن بن الحافظ الكبير الإمام محمد بن إسحاق بن منده (٣٨٣ - ٤٧٠)هـ في ترجمته له في الذيل ٣/٢٦ -٣١ حيث نقل في عرض ما نقل من القدح فيه - قول شيخ الإسلام الهروي فقال ص ٢٨ ؛ « . . قلت : قد ذكر عن شيخ الإسلام الأنصاري أنه قال : كانت مضرته - يعني عبدالرحمن بن منده - ، في الإسلام أكثر من منفعته . وعن إسماعيل التيمي (هو قوام السنة الأصبهاني) أنه قال : خالف أباه في مسائل ، وأعرض عنه مشايخ الوقت ، وما تركني أبي أسمع منه ، وكان أخوه خيراً منه .

وهذا ليس بقادح ! - إن صح - فإن الأنصاري والتيمي وأمثالهما يقدحون بأدنى شيء ينكرونه من مواضع النزاع ؟ ! ، كما هجر التيمي عبدالجليل الحافظ كوباه على قوله : «ينزل بالذات» وهو في الحقيقة يوافقه على اعتقاده ، لكن أنكر إطلاق اللفظ لعدم الأثر به» .

وقال : «وبأصبهان طائفة من أهل البدع ينتسبون إلى ابن منده هذا ، وينسبون إليه أقوالاً في الأصول والفروع هو منها بريء» .

ومثل هذا ما ادعى به أن السمعاني علي محمد بن ناصر الحافظ (٥٥٠)هـ في ترجمته برقم ١١٣ في ٣/٢٢٧ ، فهو من قبيل سابقه ، بسبب التعصب والتشدد .

٤ - وفي مجال النقد فإن ابن رجب لا يعتبره بغير حجة من ناقله أو قائله ، بل ربما لا يرفع به رأسا ، إذا كان عارفاً ناقله أو قائله بعدم ضبطه أو جرحه في نفسه ، وكان عارفاً بحال المتكلم فيه .

كما يصوره دفاعه عن الحسن بن أحمد بن البنا[١٥] (٣٩٦ - ٤٧١)هـ في ٣/٣٥ برقم ١٤ فقال :

«وذكر ابن النجار : أن تصانيفه تدل على قلة علمه ، وسوء تصرفه ، وقلة معرفته بالنحو واللغة ، كذا قال ، وابن النجار أجنبي من هذه العلوم فما باله يتكلم فيها؟ وقد وقع لنا الكثير من حديثه عاليا» أ . هـ .

وانظر ما قبله وبعده - .

ومثله ما في ترجمة عبدالله بن عطاء الهروي (٤٧٦)هـ برقم ٢١ في ٣/٤٥ وقريب منه ما ادعى على شيخ الإسلام الهروي في كتابه المنازل كما في ترجمته ص ٦٧.

٥ ـ كما لا يعتبر النقد والجرح إن كان مبعثه الحقد أو الحسد والتحامل على المتكلم فيه، بل ولا يعده جرحاً، بل ينقضه وينصح للمسلمين بنصرة المظلوم كما في ترجمة الحافظ الشيخ عبدالغني المقدسي الجماعيلي في المجلد الرابع من الذيل ٤/٢٣ وما بعدها، من أن مخالفيه في الاعتقاد اجتمعوا عند الأمير واجمعوا على الفتوى بكفره وأنه مبتدع، لا يجوز أن يترك بين المسلمين، ولا يحل لولي الأمر أن يمكنه من المقام معهم وسأل أن يمهل ثلاثة أيام.

فقال الحافظ: «فأما قولهم أجمع الفقهاء على الفتوى بكفره، وأنه مبتدع فيالله العجب! كيف يقع الإجماع، وأحفظ أهل وقته للسنة، وأعلمهم بها هو المخالف؟

وما أحسن ما قاله أبوبكر قاضي القضاة الشامي الشافعي لما عقد له مجلس ببغداد، وناظره الغزالي، واحتج بأن الإجماع منعقد على خلاف ما عملت به. فقال الشامي: إذا كنت أنا الشيخ في هذا الوقت أخالفكم على ما تقولون، فبمن ينعقد الإجماع؟ بك: وبأصحابك؟!

هذا مع مخالفة فقيه الإسلام في وقته الذي يقال: إنه لم يدخل الشام بعد الأوزاعي أفقه منه، ومعه خلق من أئمة الفقهاء والمناظرين والمحدثين، هذا في الشام خاصة، دع المخالفين لهؤلاء، المجتمعين في سائر بلاد المسلمين ـ بغداد ومصر وغيرهما من أمصار المسلمين ـ مع إجماع السلف المنعقد على موافقة هؤلاء المخالفين لهم. ولم يكن في المخالفين للحافظ من له خبرة بالسنة والحديث والآثار . . ».

ثم ذكر مما ادعوا عليه من أنه يقول عن الله «ولا أنزهه تنزيهاً ينفي عنه حقيقة النزول» فقال:

فإن صح هذا عنه، فهو حق، وهو كقول القائل: لا أنزهه تنزيهاً ينفي حقيقة وجوده، أو حقيقة كلامه، أو حقيقة علمه، أو سمعه وبصره، ونحو ذلك».

ثم ناقش كل ما ادعوه عليه من القول في صفات الله كالحرف والصوت وكلام الله، ومسألة الانتقال.

ثم قال والمقصود هـهنا: الإشارة إلى ما وقع في حق الحافظ من التحامل عليه والتعصب» أ. هـ.

وهذا يبين عن منهج للحافظ ابن رجب في التعامل في مثل هذه الظروف، التي يخالف فيها الجماهير واحداً بسبب مفارقته لهم باعتقاده ـ كما حصل للشيخ ابن تيمية مع علماء عصره حول الحموية والواسطية ـ حتى في دعواهم الإجماع، لم يبطلها استناداً إلى تحاملهم عليه وضيقهم منه، بل تنزل معهم إلى مناقشة الإجماع، والوقوف على مدى اعتباره، فأبطل قولهم ورده عليهم، بإبطال حجتهم ومستندهم.

وكذا انظر في رد التحامل على عبدالله بن علي التيمي ابن المارستانية (٥٩٩)هـ برقم ٢١٢ في ٣/٤٤٣ وما بعدها، وتعقَّب من كذَّبه من العلماء وأجاب عن سبب سجنه، وما ادعى عليه من تركيب الأسانيد، والاختلاق في كتبه.. كل هذا والحافظ ابن رجب لا يسلم بأقوال الناقدين فيه دون ظهور حجتهم، بل ويخالفهم فيما يدعونه على المترجم له من دون بينة. لأنه وقف على كتاب المذكور فلم يجد فيه ما ينكر من دعاوى منتقديه، فهو رحمه الله أنصفه.

مركز تحقيقات کامپیوتری علوم اسلامی

٦ ـ لا يتساهل الحافظ ابن رجب مع العالم الذي يجاهر ببدعة مغلظة تمس العقيدة، وهذا المجاهر ببتدعته، لا تجد الحافظ يسمه بالألقاب المادحة له ويثني عليه، بل يظهر بغضه له وبراءته منه بما يصدره في حقه من معائب، ولا يذكر هذا عنه رجماً بالظن، بل وعنده أقوال المترجَم له الشاهدة على انحرافه، وهذا من تمام عدله وانصافه له، وشاهده ما وقع في ترجمة سليمان بن عبدالقوي الطوفي الأصولي المشهور (٦٥٧ ـ ٧١٦)هـ صاحب البلبل في اختصار الروضة للموفق صاحب المصنفات الكثيرة وشرحها قال في ترجمته برقم ٤٧٦ في ٤/٣٦٨ ـ «وله نظم كثير رائق، وقصائد في مدح النبي ﷺ، وقصيدة طويلة في مدح الإمام أحمد. وكان مع ذلك كله شيعياً منحرفاً في الاعتقاد عن السنة، حتى قال عن نفسه:

حنبلي رافضي أشعري؟   هـــذه إحدى العـبر

ووجد له في الرفض قصائد ، وهو يلوح في كثير من تصانيفه، حتى إنه صنف كتاباً سماه «العذب الواصب على أرواح النواصب».

ومن دسائسة الخبيثة، أنه قال في «شرح الأربعين للنووي» (ثم ذكر مأخذ له على كتابة الصحابة للسنَّة يطعن فيه على عمر فقال الحافظ بعد سوق كلامه) فانظر إلى هذا الكلام الخبيث المتضمن بأن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه هو الذي أضل الأمة قصداً منه وتعمداً. ولقد كذب في ذلك وفجر.

قال: وقد كان الطوفي أقام بالمدينة النبوية مدة يصحب الرافضي: السكاكني المعتزلي، ويجتمعان على ضلالتهما، وقد هتكه الله وعجل الانتقام منه بالديار المصرية.

ثم قال : وقد ذكر بعض شيوخنا عمن حدثه عن آخر، أنه أظهر له التوبة وهو محبوس. وهذا من تقيته ونفاقه، فإنه في آخر عمره لما جاور بالمدينة كان يجتمع هو والسكاكني شيخ الرافضة، ويصحبه، ونظم في ذلك ما يتضمن السب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه» أ. هـ.

وبعد هذا التطواف في هذه القضية المهمة ـ الدالة على سلفية الحافظ وتجرده للحق ـ فإنه من المناسب تذكير الأخوة من طلاب العلم وغيرهم ممن تطمع أنفسهم إلى ولوج هذا الباب ـ نقد العلماء ـ والكتابة فيه، أو الخوض فيه في مجالسهم . .

أوصيهم بتقوى الله سبحانه وتعالى وخشيته ومراقبته في السر والعلن، وأن يتذكروا وقوفهم بين يدي الله تعالى، وقد خاضوا في صفوة الناس نقداً وجرحاً وحكماً على أحوالهم وعقائدهم . .

حتى بدا ذلك من الأسئلة الواضحة والمتكررة ما عقيدة فلان؟ ما منهج فلان من العلماء؟ القضية ـ كما لا يخفى ـ ذات جانبين كلاهما مر، يتمثلان بالإفراط والتفريط، والجادة المطروقة هي الوسطية بملاحظة النية عند الخوض في الموضوع، والدافع إليها، وباتباع سبيل المؤمنين في طرقها وهم علماؤنا الراسخون، وأظن أن الحافظ ابن رجب الحنبلي من جمعهم المبارك.

لذا فالوقوف على مناهجهم - رحمهم الله - وطرائقهم في طرق الموضوع والبحث فيه أمر أساسي في الوصول إلى سلامة الحكم، وإلا فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وما جعلنا في عنت وحرج، ووقف أمر الدين والاعتقاد والعمل عليه. ولأن يقدم العبد على ربه خفيف الحمل من أعراض العلماء وذممهم، أسلم له في عاقبته ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقبل ختم هذا البحث لعلنا نتأمل هذه الكلمات من الحافظ ابن رجب الحنبلي في قول نُسب للشيخ عبدالقادر الجيلي أنه قال: «قدمي هذه على قبة كل ولي لله». قال في ٣/٢٩٥: «.. وأحسن ما قيل في هذا الكلام: ما ذكره الشيخ أبوحفص السهروردي في عوارفه: أنه من شطحات الشيوخ التي لا يقتدى بهم فيها، ولا يقدح في مقاماتهم، ومنازلهم، فكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك، إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم».

قال بعد ذلك مُقعِّداً: «ومن ساق الشيوخ المتأخرين مساق الصدر الأول، وطالبهم بطرائقهم، وأدرك منهم ما كان عليه الحسن البصري وأصحابه مثلاً من العلم العظيم، والعمل العظيم، والورع العظيم، والزهد العظيم، مع كمال الخوف والخشية، وإظهار الذل والحزن والانكسار، والازدراء على النفس، وكتمان الأحوال والمعارف، والمحبة والشوق ونحو ذلك فلا ريب أنه يزدري المتأخرين، ويمقتهم، ويهضم حقوقهم.

فالأولى تنزيل الناس منازلهم، وتوفيتهم حقوقهم، ومعرفة مقاديرهم، وإقامة معاذيرهم، وقد جعل الله لكل شيء قدراً» أ. هـ.

موقف الحافظ من عرض تصانيف المترجمين:

المؤلفات والتصانيف والآثار العلمية التي يخلفها العالم هي المصدر الأساس - وربما الوحيد - لمعرفة علمه وعقيدته وفقهه.. وهي الصلة الباقية الحافظة لعلومه، فمن أين لنا أن نعرف فضل ابن جرير وعلمه لولا مؤلفاته، وكذا النووي وابن تيمية وابن حجر ومن قبلهم وبعدهم.

وكانت ـ على هذا ـ عناية المترجمين بذكر تصانيف مترجميهم شاهدة عليه.

وللحافظ ابن رجب الحنبلي نصيب من هذا في تراجمه من خلال الذيل حيث له حرص على تعداد ما يعرف من مؤلفات العلم ووصفها بالحسن والجودة وضدهما، أيضاً وصفها بالطول والقصر حجماً بأنها في مجلد أو أكثر، أو في جزء ما تراه بيناً في غالب التراجم، كذلك عرضه وتقديمه للتصانيف. وهي ناحية تبرز مكانة الحافظ النقدية، وملكته في معرفة طرائق العلماء في التصانيف والتأليف. كما تبين عن أثر منهجه ومسلكه فيهما مع أثر عقيدته في تناوله لما كتب العلماء مدحاً وجرحاً.

فقال في تقديمه لتصانيف موفق الدين ابن قدامة الحنبلي (٥٤١ ـ ٦١٥) هـ برقم ٢٧٢ في ٤/ ١٣٩:

ذكر تصانيفه: صنف الشيخ الموفق ـ رحمه الله ـ التصانيف الكثيرة الحسنة في المذهب، فروعاً وأصولاً.

وفي الحديث واللغة والزهد والرقائق. وتصانيفه في أصول الدين في غاية الحسن، أكثرها على طريقة أئمة المحدثين، مشحونة بالأحاديث والآثار، وبالأسانيد، كما هي طريقة الإمام أحمد وأئمة الحديث. ولم يكن يرى الخوض مع المتكلمين في دقائق الكلام، ولو كان بالرد عليهم. وهذه طريقة أحمد والمتقدمين.

وكان كثير المتابعة للمنقول في باب الأصول وغيره، لا يرى إطلاق ما لم يؤثر من العبارات.

ويأمر بالإقرار والإمرار لما جاء في الكتاب والسنة من الصفات، من غير تفسير ولا تكييف، ولا تمثيل ولا تحريف، ولا تأويل ولا تعطيل».

ثم ذكر من مؤلفاته خمسة وعشرين كتاباً بدأها بكتب السنة والاعتقاد فقال:

«فمن تصانيفه في أصول الدين [البرهان في مسألة القرآن] جزء، [جواب مسألة، وردت من صرخد في القرآن] جزء، [الاعتقاد] جزء، [مسألة العلو

جزءان، [ذم التأويل] جزء، [كتاب القدر] جزءان، [فضائل الصحابة] جزءان وأظنه [منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين].

ثم ذكر تصانيفه في الحديث، ثم الفقه، ثم أصول الفقه، ثم اللغة والأنساب، ثم في الفضائل والرقائق، كلها بترتيب بديع وتناسق في الوصف والتقديم والتأخير.

.وذكر أمراً مهماً يدل على تعظيمه لمآثر العلماء وحسن نظرته إليهم فقال في مؤلفاته:

وانتفع بتصانيفه المسلمون عموماً، وأهل المذهب خصوصاً، وانتشرت واشتهرت بحسن قصده وإخلاصه في تصنيفهما، ولا سيما كتاب «المغني» فإنه عظيم النفع به، وأكثر الثناء عليه» أ. هـ.

وذكر للموفق رسالة أرسلها إلى الفخر بن تيمية (٦٢٢)هـ في مسألة إطلاق خلود أهل البدع المحكوم بكفرهم في النار من عدمه، وهي مما وقع بين الشيخين فيها مرادَّات لخصها ابن رجب في ترجمة الفخر ٤/١٥٤ ـ ١٥٧.

كان هذا نموذجاً لطريقة عرضه وتعداده تصانيف الأئمة، وما يتخلله من الدعاء لهم والثناء عليهم بها.

ولما ذكر مصنفات الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ٣/٤١٥ ـ ٤٢١ ذكرها بأسمائها معددا أجزاءها ومجلداتها.

ونقل قبل ذلك قول الموفق ابن قدامة ـ رحمة الله عليه ـ فيه وفيها فقال «كان ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ وصنف في العلم تصانيف حسنة، وكان صاحب قبول، وكان يدرس الفقه ويصنف فيه. وكان حافظاً للحديث، وصنف فيه، إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنة، ولا طريقته فيها»أ. هـ.

ونقل فيها عن ابن تيمية من كتابه أجوبة الاعتراضات المصرية، وعن الذهبي وغيرهما من كبار النقاد.

وقال هو واصفاً لأحسنها مميزاً لها عن المصنفات مثلها:

«ومن أحسن تصانيفه، ما يجمعه من أخبار الأولين مثل «المناقب» التي صنفها[١٦]، فإنه ثقة كثير الاطلاع على مصنفات الناس، حسن الترتيب والتبويب قادر على الجمع والكتابة.

وكان من أحسن المصنفين في هذه الأبواب تمييزاً، فإن كثيراً من المصنفين فيه لا يميز الصدق فيه من الكذب.

وكان الشيخ أبوالفرج فيه من التمييز ما ليس في غيره، وأبونعيم له تمييز وخبرة، لكن يذكر في الحلية أحاديث كثيرة موضوعة، فهذه المجموعات التي يجمعها الناس في أخبار المتقدمين من أخبار الزهاد ومناقبهم، وأيام السلف وأحوالهم مصنفات أبي الفرج أسلم فيها مصنفات هؤلاء، ومصنفات أبي بكر البيهقي أكثر تحريراً لحق ذلك من باطله من مصنفات أبي الفرج؛ فإن هذين كان لهما معرفة بالفقه والحديث، والبيهقي أعلم بالحديث، وأبوالفرج أكثر علوماً وفنوناً».

ولكن الحافظ ابن رجب لما أجمل الانتقاد على أبي الفرج ابن الجوزي في ثلاث جهات. لم يتطرق من خلال عرض تأليفه لما فيها من البدع والزيغ، ولعله اكتفى بما أجمله! ولكن المقام يناسب التنبيه بما وقع فيها.

* والحافظ من منهجه أنه إذا وقف على مصنف فيه وَهْم أو خطأ أو مخالفات لا تتناسب والمؤلف أو الفن المكتوب فيه المصنف فإنه ينبه على ذلك ويوضحه..

كل هذا يقوله نصحاً وتحذيراً، لا عن هوى أو غرض نفسي أو تحكُّم، بل اعتماداً على القواعد العلمية في النقد بذكر النقد وموجبه، والعيب وسببه.

ومن ذلك بحثه في ترجمة الشيخ عبدالقادر الجيلي (٥٨٦)هـ تعرض لكتاب جمع فيه أخبار الشيخ ومناقبه فقال في ٣/٢٩٣، «... وكان الشيخ عبدالقادر ـ رحمه الله ـ في عصره معظماً، يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد، وله مناقب وكرامات كثيرة، ولكن جمع المقرىء أبوالحسن الشطنوفي المصري في أخبار الشيخ عبدالقادر ومناقبه ثلاثة مجلدات. وكتب فيها الطَّم والرَّم، وكفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع.

وقد رأيت بعض هذا الكتاب، ولا يطيب على قلبي أن أعتمد على شيء مما فيه، فأنقل منه إلا ما كان مشهوراً معروفاً من غير هذا الكتاب.

وذلك لكثرة ما فيه من الرواية عن المجهولين، وفيه الشطح، والطَّامات، والدعاوى، والكلام الباطل ما لا يحصى، ولا يليق نسب مثل ذلك إلى الشيخ عبدالقادر رحمه الله.

ثم وجدت الكمال جعفر الأدفوي قد ذكر أن الشطنوفي نفسه كان متهماً فيما يحكيه في هذا الكتاب بعينه».

ثم نقل منه الحافظ أحسن ما فيه.

- ونحوه ما قاله على بعض كتب سليمان بن عبدالقوي الطوفي (٧١٦)هـ في ٤/ ٣٦٨.

وآخر لما حكى ما لعبدالمؤمن القطيعي (٦٥٨ - ٧٣٩)هـ من المؤلفات ووصفها برقم ٥٢٣ في ٤/ ٤٢٨ - ٤٣٢ قال:

«وله - رحمه الله - أوهام كثيرة في تصانيفه، حتى في الفرائض، من حيث توجيه المسائل وتعليلها، رحمه الله تعالى وسامحه، فلقد كان من محاسن زمانه في بلده».

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وإذا كان المؤلِّف من إمام، لكن الكلام فيه يحتمل الحق والباطل، وكان يُحسن الظن بكاتبه فإنه يحمل ما في كلامه على أحسن المحملين، كما فعل في كتاب أبي إسماعيل الهروي منازل السائرين، ٣/ ٦٧. فانظره.

- وأيضا على كتاب «نهاية المطلب في علم المذهب»، للشيخ يحيى بن يحيى الأزجي الحنبلي فراجعه بترجمته رقم ٢٦١ في ٤/ ١٢٠.

* ولئن كان الحافظ ابن رجب الحنبلي لا يترك مثالب المصنفات فإنه أيضاً في المقابل لا ينسى محاسنها والثناء عليها بما فيها والإشادة بما حوله من التحقيق، والتمييز، والتحرير.

فذكر في ترجمة عبدالباقي بن حمزة الحداد الفرضي (٤٩٣)هـ برقم ٤٠ في ٣/ ٩٠ كتابه في الفرائض فقال: «قلت له كتاب . . الإيضاح في الفرائض» رأيت من المجلد الأول وهو حسن جداً. صنفه على مذهب الإمام أحمد. وحرّر فيه نقل المذهب تحريراً جيداً . . » أ. هـ.

وانظر ثناءه على مصنفات تقي الدين بن تيمية وشهرتها وذيوعها في ٤/ ٤٠٣ وما بعدها.

وأيضا على مؤلفات شيخه أبي عبدالله بن القيم في ٤/ ٤٤٩ وما بعدها ومؤلفات ابن قدامة وعبدالغني المقدسي وابن أبي موسى الهاشمي وغيرهم كثير.

موارد ابن رجب في ذيله :

سبق القول إن المصنف في التراجم والسير لن تكون مادته في تأليفه من محض نظره واجتهاده وتأمله، ولكن غالبا بنقول عن مصادره الموردة له.

وهكذا حال الحافظ ابن رجب في ذيله على طبقات ابن أبي يعلى للحنابلة. فإن أكثر مادته منقولة عن جماعة من المؤلفين في التاريخ والتراجم، ومن العلماء على مدى قرون التراجم. حيث يأخذ مؤرخوه في علمائه، وربما أخذ من مقارني كل طبقة من العلماء ممن كتبوا في التاريخ عموماً.

أكثر من صرَّح الحافظ بالنقل عنهم من كتبهم أو أسماء أعيانهم:

١ ـ القاضي أبوالحسين محمد بن القاضي أبي يعلى (٥٢٦)هـ صاحب طبقات الحنابلة. نقل عنه كثيراً في تراجم طبقته، وأهل عصره.

٢ ـ أبوالحسن على بن عبيدالله بن الزاغوني الحنبلي (٥٢٧)هـ له تاريخ على السنين إلى وفاته، وهو من كبار الحنابلة في وقته. وله ترجمة في الذيل برقم ٨١.

٣ ـ أبوالوفاء علي بن عقيل الحنبلي (٥١٣)هـ، وأكثر ما ينقل عن الحافظ ابن رجب الحنبلي من كتابه الكبير «الفنون» أقل ما قيل في حجمه أنه مائتا مجلد، وأكثر ما قيل فيه أنه ثمانمائة مجلد، وقال فيه الذهبي: لم يُصَنَّف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب. انظر ترجمته في الذيل برقم ٦٦.

٤ ـ أبوالفرج عبدالواحد بن محمد الحنبلي الشيرازي (٤٨٦)هـ ناشر مذهب الحنابلة بدمشق، وصاحب كتاب الجواهر في التفسير في ثلاثين مجلد، ترجم له ابن رجب برقم ٢٨.

٥ ـ الحافظ محمد بن ناصر السلامي (٥٥٠)هـ محدث العراق.

٦ ـ أبوالمعالي حمزة بن أسد بن القلانس المحدث (٥٥٥)هـ صاحب ذيل تاريخ دمشق.

٧ ـ الحافظ عبدالكريم بن محمد السمعاني (٥٦٢)هـ صاحب الأنساب، وتواريخ مرو والرواة، وذيل تاريخ بغداد.

٨ ـ الحافظ أحمد بن شافع (٥٦٥)هـ له تاريخ على السنين بدأه من وفاة الخطيب البغدادي سنة ٤٦٣ إلى ما بعد سنة ٥٦٠هـ ولم يبيضه.

وقد ترجمه الحافظ برقم ١٤٠ وقال مصرحاً بالنقل عنه ٣/٣١٢، «وأنا فقد نقلت من تاريخ ابن شافع في هذا الكتاب فوائد مما وقع لي منه فإنه وقع لي منه عدة أجزاء من منتخبه لابن نقطة» يعني تاريخه.

٩ ـ الحافظ أبوالفرج صدقة بن الحسين بن الحداد (٥٧٣)هـ صاحب الذيل على تاريخ ابن الزاغوني من سنة ٥٢٧ إلى قرب وفاته. ونقل منه الحافظ في مواضع كثيرة. وترجم له برقم ٣٣٩.

١٠ ـ الإمام الحافظ المحدث أبوطاهر أحمد بن محمد السلفي (٥٧٦) صاحب معاجم الشيوخ المتعددة.

١١ ـ الحافظ أبوموسى محمد بن عمر المديني (٥٨١)هـ ويسميه الحافظ ابن المديني، له كتاب «النوادر والزيادات» جعله ذيلاً على كتاب الأنساب للقرشي.

١٢ ـ الشيخ أبوالفرج ابن الجوزي (٥٩٧)هـ صاحب التواريخ والمناقب الكثيرة، وهو من أكثر من نقل عنه الحافظ ابن رجب، وقد ترجم له ترجمة مطولة برقم ٢٠٥ في المجلد الثالث من ٣٩٩ إلى ٤٣٢.

١٣ ـ الحافظ الضياء المقدسي، محمد بن عبدالواحد (٦٤٣)هـ وهو معتمد ابن رجب في سيرة المقادسة ومناقبهم ولا سيما الحافظ عبدالغني المقدسي، وكذا الحنابلة في وقته وقبله.

١٤ ـ الحافظ المؤرخ ابن النجار محمد بن محمود (٦٤٣)هـ له ذيل على تاريخ بغداد كبير في ستة عشر مجلداً، وله الكمال في معرفة الرجال وغيرها. إذ جل تصانيفه في التواريخ والتراجم، وهو ممن اعتمد عليهم الحافظ كثيراً.

١٥ ـ الإمام الحافظ ابن نقطة، محمد بن عبدالغني (٦٢٩)هـ صاحب الاستدراك والأنساب والتقييد وغيرها. وأكثر ابن رجب النقل عنه.

١٦ ـ الشيخ ناصح الدين عبدالرحمن بن نجم الدين بن الحنبلي وحنابلة الحكام في وقتهم ترجمة الحافظ في ٢/١٣٢. وقد نص الحافظ في ترجمته تلك ٣/١٩٩ على نقله من كتابه فقال: «وكتاب الاستسعاد بمن لقيت من صالحي العباد في البلاد» فقد وقفت عليه بخطه، ونقلت منه في هذا الكتاب كثيراً» أ. هـ.

١٧ ـ الإمام الموفق أبي محمد عبدالله بن قدامة المقدسي (٦١٥)هـ وقد ترجمه الحافظ برقم ٢٧٢.

١٨ ـ المحدث ابن الدبيثي، محمد بن سعيد (٦٣٧)هـ صاحب الذيل على تاريخ ابن السمعاني الذي جعله ذيلاً على تاريخ بغداد. وتاريخ ابن الدبيثي في أربعة مجلدات.

١٩ ـ الإمام الحافظ عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري (٦٥٦)هـ صاحب التكملة لوفيات النقلة. وهو من مصادر الحافظ المعتبرين.

٢٠ ـ سبط ابن الجوزي الشيخ يوسف بن قز أوغلي (٦٥٤)هـ المؤرخ المشهور من كتبه الكبار «مرآة الزمان، تاريخ الأعيان» ثمانية مجلدات.

٢١ ـ الشيخ الفقيه أحمد بن حمدان الحراني (٦٩٥)هـ، نقل عنه ابن رجب كثيراً، غرائب الأئمة، وهو صاحب الرعايتين الكبرى والصغرى في الفقه، والكبرى

مخطوطة، وعنها نسخة مكتوبة سنة ٧٠٦هـ، بجامعة الإمام، رقمها ٣٥٤١ عن دبلن بأيرلندا.

٢٢ ـ شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية (٧٢٨)هـ، نقل عنه ابن رجب في مواضع التحقيق للمسائل أو الحكم على الرجال ومؤلفاتهم، ومنها ما في ترجمة الشيخ عبدالقادر الجيلي ٢٩٦/٣، وترجمة عثمان بن مرزوق ٣١٠ وترجمة ابن الجوزي وغيرهم.

٢٣ ـ المحدث قاسم بن محمد البرزالي (٧٣٩)هـ صاحب التاريخ الذي جعله ذيلاً على تاريخ أبي شامة، وكتبه إلى سنة ٧٣٨هـ، وحوى ٣٠٠٠ ترجمة. وأكثر النقل ابن رجب في متأخري تراجمه.

٢٤ ـ الحافظ الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (٧٤٨)هـ، وهو غني عن التعريف به وكتبه وأشهرها «سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام ـ وهو أيضاً من مصادر الحافظ ابن رجب المعتمدة في القرن السابع والثامن على وجه الخصوص.

٢٥ ـ الإمام الفرضي عبدالمؤمن بن عبدالحق القطيعي (٧٣٩)هـ صاحب التاريخ، وينقل عنه ابن رجب ويسميه بابن القطيعي.

وغير هؤلاء.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ولعلك إذا نظرت في هؤلاء الأعلام وثقلهم العلمي ومؤلفاتهم فهم أئمة هذا الشأن، ومظنة الصدق في نقولهم وتواريخهم، إذ هؤلاء أوثق أهل تلك القرون تصنيفاً في هذا الفن. إذا علمت هذا تبين لك قيمة ذيل ابن رجب الحنبلي، الذي هؤلاء هم مصادره وموارده.

الملحوظات:

هي وجهات نظر أو قل مؤاخذات بدت لي من خلال قراءة الذيل خصوصاً وسائر مؤلفات الحافظ.

أذكر في بادىء الأمر بأنه ما من شرط العالم أنه لا يخطىء، واستدراك الصغير على الكبير، واللاحق على السابق، أمر معتاد وطبيعي ولا ينقص من قدر المتعقَّب أبداً، كما لا يرفع بذلك شأن المتعقِّب، ولربما يرى جواز بعضها.

وهذه المسائل، محل الملاحظة، لولا الأمانة العلمية والنصح ما أوردتها فمن أنا بجنب الحافظ رحمه الله؟!

ومجمل الملاحظات كالآتي:

١ ـ الحافظ يتساهل في نقل مصطلحات الصوفية وألفاظهم كثيراً نحو شهود الحضرة والأحوال كما في ٣/٧٩. أو في مدح المترجم له نحو: صاحب المقامات وسيد أهل الطريقة، وصاحب المعارف والأحوال نحو ما في ترجمة عبدالقادر ص ٢٩٠.

أو اشتهرت مكاشفاته، ولبس الخرقة وأهل الطريقة ٣/٣٠٦ أو التعبير بالأوتاد وأشباه هذه الألفاظ في ٣/٣٠٧ و ٤/٤٤٨ وغيرها.

وتلك العبارات بعضها محتمل وبعضها ليس كذلك!

وهذا وأمثاله دعا بعض أهل العلم يصفون الحافظ بالتصوف.

ـ ومن تساهله مع أحوال الصوفية ـ الذي لا يجوز ـ ما نقله في ترجمة ابن الدجاجي أو ابن الحيواني (٥٦٤)هـ ٣/١٠٣ من مناقبه عن ابن النجار: أنه كان يخالط الصوفية، ويحضر معهم مجالس الغناء.» وهو منكر لا يجوز في عامة الناس فكيف بعلمائهم، وأعجب من نقل الحافظ له، وأعجب منه سكوته عليه رحمه الله.

٢ ـ كما أن الحافظ ابن رجب يتساهل في موضوع الرؤى والمنامات على أنها شواهد على مناقب المترجم له وصلاحه.

إذ يرويها أحياناً عن مجاهيل، أو بدون سند يطنب فيها كثيراً، أو ما فيه تعسف أو خروج عن طبيعة تلك الكرامات، كما في التراجم المطولة لكبار العلماء، وفي ٤/١٥٩ و ٤/١٤٠. وكما في ترجمة الحافظ عبدالغني المقدسي والموفق والشيخ عبدالقادر وابن الجوزي وغيرهم.

وإن كان الأصل في منهجه ألا ينقل من الرؤى إلا ما وافق أصول الشرع ومن كتاب يعرفه أو بإسناد يذكره.

٣ - ربما تساهل في بعض المسائل فأوردها في التراجم دون تعقيب منه أو إشارة إلى بدعيتها ومخالفتها، وهو المعروف عنه من منهجه عدم التساهل في البدع.

ــ من ذلك ما في ترجمة الوزير ابن هبيرة ٣/٢٧٧ حيث قال: «وكتاب الإفصاح فيه فوائد جليلة غريبة. وقال فيه، الخضر الذي لقيه موسى عليه السلام، قيل كان ملكاً. وقيل كان بشراً وهو الصحيح. ثم قيل: إنه عبد صالح ليس بنبي، وقيل: بل نبي وهو الصحيح. والصحيح عندنا، أنه حَيٌّ، وأنه يجوز أن يقف على باب أحد مستعطياً له، وغير ذلك؛ لما حدثني محمد بن يحيى الزبيدي. وذكر عنه حكايات تتضمن رؤية الخضر والاجتماع به». وفي ترجمة أبي الفرج الحنبلي ذكر أنه لقيه مرتين ولم يتعقبه في ذلك ٣٠/٧٠ قلت: هذا الذي ذهب إليه الوزير قول لبعض العلماء في الخضر عليه السلام لكن ليس حياً كما ذكر بل ميت لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم في آخرعمره: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإنه على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد» رواه البخاري. وعلى فرض حياته لكان لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم ينقل هذا ألبتة.

ــ أنه ذكر عن الشيخ رزق الله التميمي (٤٨٨)هـ أنه يخرج إلى مقبرة أحمد أربع دفعات في السنة، في رجب، وشعبان، يوم عرفة وعاشوراء ويعقد هناك مجلساً للوعظ في ٣/٧٨. ولم يتعقبه أو ينكره، إذ هو من البدع الإضافية.

ــ ذكر في جنازة الشيخ أبي منصور الخياط (٤٩٩)هـ ٣/٩٧ قول ابن خيرون، ما رأيت مثل يوم صلي على أبي منصور الخياط، من كثرة الخلق والتبرك بالجنازة.

ذكر هذا ولم ينكره، وحقه تعجيل الإنكار في موضعه، بل عدم نقله أصلاً لأن التبرك بهذا وغيره من وسائل الشرك الأكبر، إن لم يصاحبه اعتقاد في المتبرك فيه!

ـ في ترجمة ابن الجوزي ذكر ما وقع من استطالة الرافضة في العراق. ومما جرى فيها من تعظيم الإمام أحمد حيث جعل على قبر الإمام أحمد لوح مكتوب عليه آية الكرسي وألقاب الإمام، ورفع القبر بالآجر الجديد ذكر هذا كله ولم يتعقبه بشيء وهذا ليس من عاداته ـ رحمه الله ـ فربما نسيه في ٤٠٨/٣.

ـ أيضاً نبش قبر الشيخ سعدالله بن الحيواني وذكر مناقب العلامة أبي عمر بن قدامة ٤٧/ ٥٤ ـ ٥٥: أنه كان يصلي بين العشاءين بأربع ركعات يقرأ فيهن بالسجدة ويس وتبارك والدخان.. ويوم الجمعة ركعتين يقرأ بمائة مرة لسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وأشياء أخرى.

وسكوته رحمه الله على هذه التخصيصات مشكل على عام نهجه في أمثالها.

٤ ـ أمر آخر لاحظته متكرراً وهو اعتباره واستحسانه ختمات القرآن للأموات على قبورهم وجنائزهم وبعدها. خصوصاً على كبار العلماء.

كما في ٤٠٩/٣ و ٤٢٩ و ٤٠٧ وغيرها.

وكأن الحافظ يرى جواز إهداء الميت ثواب ختمات القرآن ويتوسع في هذا والله أعلم.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

هذا، وإن هذه المؤاخذات لقليلة جداً في كثير فضله ودينه وعلمه وحسن اعتقاده ومنهجه. والله سبحانه وتعالى وعد عباده بغلب الحسنات للسيئات. ومن ذا الذي ليست له سيئة! فقال تعالى في آخر هود ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾. وقال في آخر الفرقان في عبادة المؤمنين الأوابين ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

هذا وإن غض الطرف عن مآخذ الإمام وإن علا شأنه وارتفع أمره، وطار فضله وصيته، تقليداً له وسكوتاً عن خطئه، وعدم عقد القلب على نكران زلته.

مثل الغلو في تتبع عثراته الساكنة، وإحياء غلطاته البائدة، وبعث منكراته الطاوية في بحر النسيان أو الخذلان فما بالك بالتكلف في استخراج حسناته غير

المقصـودة، أو التقعر في نبش أخطائه المدفونة، وليِّ أطراف كلامه ليصب في البـدعـة أو الضـلالات غصباً. . وإن كان من أهل الإيمان صدقاً! وربما عنفوه وأغلظوا عليه في الشعـرة الصغيرة، وكفروه على السريرة أو الجريرة، وبُعداً إلى الحكم عليه بما انطوى عليه قلبه، وانعقدت عليه نيته بما لا يعلمه إلا ربه الذي انقلب عبده إليه.

ودافع هذا الهوى والشيطان وبواطن النفس كثير. وقلة المعرفة والحرص والديانة قليل.

لا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طـرفي قصـد الأمـور ذميـم

قال العلامة ابن القـيـم:

«. . وخير الأمـور أوسـاطها، والأخلاق الفاضلة كلها وسط بين طرفي إفراط وتفريط . . كذلك الدين المستقيم وسط بين انحرافين. وكذلك السنة وسط بين بدعتين، وكذلك الصواب في مسائل النزاع إذا شئت أن تحظى به فهو القول الوسط بين الطرفين المتباعدين»(١١).

أقول هذا لإخواني طلاب العلم تبصرةونصحاً وفيهم من يتحمسون أو يستلذون الخوض في باب النقد والحكم على أقوال العلماء وأحوالهم، وربما بعضهم على نياتهم ومقاصدهم، ومن طريف مناسبة المقام ما جرى بين الموفق بن قدامة وناصح الدين بن الحنبلي من المرادَّة في مسألة السماع المذموم. والأول أضلع في العلم من الثاني وكتب للثاني على ظهر رده عليه هذه الجملة:

« . . كنت أتخيل في الناصح: أنه يكون إماماً بارعاً، وأفرح به للمذهب؛ لما فضله الله به من شرف بيته، وإعراق نسبه في الإمامة، وما آتاه الله تعالى من بسط اللسان، وجراءة الجنان، وحدة الخاطر، وسرعة الجواب وكثرة الصواب، وظننت أنه يكون في الفتوى مبرزاً على أبيه وغيره، إلى أن رأيت له فتاوى، غيره فيها أسد جواباً وأكثر صواباً، وظننت أن ابتلي بذلك لمحبته تخطئه الناس، واتباعه عيوبهم، ولا يبعد أن يعاقب الله العبد بجنس ذنبه - إلى أن قال: والناصح قد شغل كثيراً من زمانه بالرد على الناس في تصانيفهم وكشف ما استتر من خطاياهم، ومحبة بيان سقطاتهم.

ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه، أفتراه يحب لنفسه بعد موته من ينتصب لكشف سقطاته، وعيب تصانيفه وإظهار أخطائه؟ وكما لا يحب ذلك لنفسه ينبغي ألا يحبه لغيره، سيما للأئمة المتقدمين، والعلماء المبرزين، وقد أرانا الله تعالى آية في ذهابه عن الصواب من أشياء نظر لمن هو دونه»أ. هـ.

ذكره الحافظ ابن رجب في ذيله ٤/١٩٦ في ترجمة ناصح الدين الحنبلي ألا فليستحضر الناقدون والمتعقبون هذه المعاني وتلك المواقف.



الهوامـــش

(١) فقد تضمن الكتابان مقالات ورسائل عن الإمام أحمد وتلاميذه عنه، ونقولاً من مطولات متأخري الأصحاب كثيرة منها في عداد المفقود، إذا علمنا أن الذين جمعوا مسائل الإمام نحو ١٢٠ تلميذا كما عدهم ووصف مسائلهم وجودتها ابن المبرد في أول معجم الكتب، في حين لم يصلنا من هذا الكم سوى أقل من عشرة كتب في مسائل الإمام هي: (١) مسائل عبدالله بن أحمد، (٢) ومسائل صالح، (٣) ومسائل ابن هاني، (٤) ومسائل أبي داود السجستاني، (٥) ومسائل البغوي أبي القاسم، (٦) ومسائل إسحاق بن منصور الكوسج، (٧) والمسائل لغلام الخلال عبدالعزيز بن جعفر، (٨) والمسائل التي حلف عليها الإمام أحمد للقاضي أبي يعلى، وأكثرها قد طبع أو في طريقه للطبع. كذلك آثار العلماء من الحنابلة التي لم تصنف بل تناقلها الرواة، أو كتب فقدت مع امتداد الزمن..!!.

ومثلهما كتب التراجم التي صاغها العلماء من نحو «طبقات الشافعية الكبرى» لتاج الدين ابن السبكي ولابن كثير في طبقات الشافعية، وقبلهما ابن الصلاح والذهبي في سير أعلام النبلاء، وأيضاً مطولات التراجم الفردية.

(٢) ستكون الإحالة إلى الطبعة المشهورة والمتداولة للطبقات وذيلها حتى وقت إعداد البحث وهي التي بتصحيح محمد حامد الفقي، ومن مطبوعات جمعية أنصار السنة المحمدية بمصر والمصورة عنها.

(٣) وانظر إلى موارد الحافظ في الذيل في آخر البحث.

(٤) وفائدة كتابته بالحروف بدلاً من الأرقام وذا يدفع احتمال التصحيف فيها، أو التحريف والخلط إلى حدٍّ كبير ومثله ضبط العلماء للكلمات بالشكل يضبطون ذلك بالحروف مع الشكل على الكلمة المضبوطة.

(٥) هذا كتاب حافل بدأ فيه مؤلفه في شرح الصحيحين من خلال كتاب الحميدي أبي عبدالله الأندلسي المسمى بالجمع بين الصحيحين، حيث رتب جمعه لأحاديثهما على مسانيد الصحابة.

وهذا الكتاب أعني «الافصاح» لم يطبع إلى الآن كاملاً، بل الموجود منه والمشهور هو ما يتعلق بالمسائل الفقهية بين المذاهب الأربعة وهو مطبوع في مجلدين وهو في الأصل ضمن كتاب «الإفصاح عن معاني الصحاح» الذي هو شرح للجمع بين الصحيحين، لكن الوزير ابن هبيرة لما وصل في شرح أول حديث معاوية (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) بدأ بمسائل الفقه من كتاب الطهارة على ترتيب الفقهاء إلى آخر كتب الفقه، أما الكتاب في الحقيقة على ما تركه عليه مؤلفه فهو كبير في تسعة عشر جزءاً ويوجد منه في المكتبة المحمودية الملحقة بمكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالمدينة النبوية خمسة مجلدات برقم ٦٦ فيها على النحو التالي الأول في ٣٢٣ ورقة في القرن الثامن، والثاني ٢٨٨ ورقة، والثالث ٢٢٩ ورقة في سنة ٧٢٦هـ، والرابع في ١١٩ ورقة في ٧٢٦هـ، والخامس في ١٩٦ ورقة القرن الثامن، وهناك نسخاً أخرى فيها مفرقة أرقامها كالتالي: رقم ٤١٠ في ١٢٥ ورقة، ٣١١ في ١٢٨ ورقة، و٤١٢ في ١٣٩ ورقة، و٤١٦ في ١٠٣ ورقات، و

٤١٧ في ٢٤٧ ورقة وفي مكتبة جامعة الإمام عن تشستربتي بدبلن ثلاثة مجلدات هي كالتالي: ١ - في ٧٨ ورقة برقم ٣١٨٥، ٢ - برقم ٣٣٥٥ في ٢٢٣ ورقة. ٣ - برقم ٣٢٦٦ في ١٧١ورقة. ونسخة المحمودية عنها فِلْمْ بجامعة الإمام أرقامه من ٢٧٧ إلى ٢٨٠. وفي مكتبة جامع يوسف أغا بقونية بتركيا مجلد مكتوب سنة ٧٧٨هـ رقمه ٩٦ وفي متحف طبقو سراي بتركيا خمس مجلدات أرقامها من ٢٦٢٤ - ـ٢٦٢٨ في ١٢٨ ق سنة ٧٥٩هـ و ١٤٢ ق ١١٩ق و١٤٠ورقة سنة ٨٨٢هـ و١٩٦ ورقة في القرن الثامن الهجري تقديراً على الترتيب، وفي مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ثلاثة مجلدات، وفي معهد الاستشراق في لينغراد مجلدان، ومكتبة الدولة ببرلين مجلدان وكذا في جامعة لايبزج وفي الوطنية بباريس مجلد هو الحادي عشر من الكتاب وغيرها عند أرقامها ووصفها وطبع من أصل الكتاب جزءان بوزارة الأوقاف بقطر هي أول المسانيد العشرة.

(٦) أقترح بالمناسبة أن تستخرج أسماء تلك المصنفات سواء عند تحقيق الكتاب، أو مفردة فهي مهمة من ناحية جمع تصانيف العلماء.. وقد جمعت أسماء المؤلفات في المجلد الأول من الذيل في فهرس فأضحت كثيرة العدد.

(٧) انظر ترجمة ابن عقيل برقم ٦٦ في ١٤٢/٣ - ١٦٣، ومضمون توبته في ص ١٤٤ وما بعدها، وذكر إنكار الشريف أبي جعفر عليه هناك. وتوبة ابن عقيل هذه طبعت مستقلة في رسالته «رسائل في القرآن وإثبات الحرف والصوت رداً على الأشاعرة، طبعة المستشرق جورج مقدسي في مجلة المعهد الفرنسي رقم ٢٤ (٥٥ - ٩٦) ونشر أيضاً رسالة ابن قدامة من تحريم النظر في علمي الكلام، وأورد كلاماً طويلاً في توبة ابن عقيل، نشره سنة ١٩٥٦م.

(٨) أشار ابن رجب إلى فتنة ابن القشيري في ١٩/٣ وما بعدها ومما قال فيها: أن أبانصر بن القشيري - سيأتي التعريف به - ورد بغداد سنة ٤٦٩ هـ وجلس في النظامية، وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم، وكان المتعصب له أبوسعد الصوفي، ومال إلى نصرة أبي إسحاق الشيرازي وكتب إلى نظام الملك الوزير يشكو الحنابلة ويسأله المعونة، فاتفق جماعة من أتباعه على الهجوم على الشريف أبي جعفر - شيخ الحنابلة - في مسجده والايقاع به، فرتب الشريف جماعة أعدهم لرد خصومه إن وقعت، فلما وصل أولئك إلى باب المسجد رماهم هؤلاء بالأجر. فوقعت الفتنة، وقتل من أولئك رجل من العامة.. وأصل هذه الفتنة ما بين الحنابلة والأشاعرة من الخلاف خصوصاً في صفات الله - عز وجل - وكلام الله. والتي ما زالت تتطور منذ كتب المعتزلة وخصوصاً في القرنين الخامس والسادس فكثرت تصانيف كل فيها، وأفرد لها الحنابلة تصانيف مشهورة أكثرها لازال مخطوطاً. منها الرسالة الواضحة في الرد عليهم للشيخ عبدالوهاب بن الحنبلي (٥٣٧)هـ والتي أعمل على تحقيقها مع رسالة أبيه شيخ المذهب وناشره في الشام الشيخ عبدالواحد بن محمد الشيرازي الحنبلي (٤٨٦)هـ.

أما أبونصر فهو عبدالرحيم بن أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري إمام الشافعية والأشعرية، ولذا عرف بأن القشيري (توفى سنة ٥١٤)هـ فهو تلميذ أبيه وإمام الحرمين الجويني، قال الذهبي في السير ٤٢٥/١٩: فوعظ ببغداد وبالغ في التعصب للأشاعرة والغض من الحنابلة، فقامت الفتنة على ساق واشتد الخطب..

ومما قال أبونصر بن القشيري في مدى تعصبه للأشعرية:

شيئان من يعذلني فيهما فهو على التحقيق منى يرى
حب أبي بكر أمام النفس ثم اعتقادي مذهب الأشعري

نقلها السُبكي في طبقات الشافعية في أثناء ترجمته ٧/١٥٩ - ١٦٦ والبيتان في ص ١٦٣ منه.

(٩) في الغنية فصولاً وجملاً مستدركة، استدركها شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كتبه.

(١٠) أتمنى عليك - أخي القارىء - قراءة شرح هذا الحديث في جامع العلوم والحكم للحافظ ص ٧٦ - ٨١ في الحديث السابع.

(١١) ص ٢٩ - ٣٣ فراجعه فكنه مهم جدًا ولم أنقل منه إلا المقصود هاهنا وبتصرف.

(١٢) نحو ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره عن أبي حامد الغزالي لما آب عن أخطائه إلى السنة.

(١٣) النصيحة التي ألفها ابن عقيل، ضمنها الموفق ابن قدامة في رسالته «تحريم النظر في علم الكلام» وسماها فضيحة ابن عقيل، ولرسالة الموفق طبعتان إحداهما بتحقيق المستشرق جورج مقدسي سنة ١٩٨٢هـ والثانية بتحقيق عبدالرحمن دمشقية سنة ١٤١٠هـ ولابن عقيل جزء من إثبات الحرف والصوت والقرآن رداً على الأشاعرة في ٢١ ورقة عن الظاهرية لا وقد طبع . .

(١٤) تردد الحافظ في حصر كتب ابن الجوزي فقال ص ٤١٥: «وأما تصانيفه فكثيرة جداً، وقد تقدم عنه أنه ذكر مائة وأربعون، أو مائة وخمسون، وزيادة على ثلاثمائة وأربعون وقد قيل إنها أكثر من ذلك».

ونقل عن ابن تيمية أنها أكثر من ألف مصنف. ومن الدراسات المعاصرة حول مؤلفات ابن الجوزي ما كتبه عبدالحميد العلوجي في ذلك وأوصل حصرها إلى ٥٧٤ مؤلَّفا بالجمع لها من بطون كتب التراجم وذكر المؤلفات، فلله درُّ ابن الجوزي.

(١٥) في الذيل: قد (ورد)، وما أثبته هو المناسب للسياق.

(١٦) له كتاب «المختار في أصول السنة» وهو مختارات من الشريعة للآجري وغيره بإسناده محقق و«الرد على المبتدعة» من الأشاعرة خصوصاً وغيرهم مخطوط في الظاهرية في نحو خمسين ورقة برقم توحيد ١/١٠٢، وله «بيان العيوب» عند القراء حقق في مجلة معهد المخطوطات وغيرها.

(١٧) منها مناقب العمران: ابن الخطاب، وابن عبدالعزيز، وسعيد بن المسيب، والحسن، والفضيل كلها في مجلد. ومناقب الحافي، وابن أدهم، والكرخي والعدوية في أجزاء، ومناقب الثوري وأحمد في مجلد. وأحسنها وأجمعها مناقب الإمام أحمد، فقد أثنى عليه العلماء كثيراً واعتمدوا عليه وصدروا عنه وعولوا عليه، وهو مطبوع في مجلد كبير.

(١٨) من آخر كلامه على الباب الثامن عشر في كتابه «روضة المحبين» ص ٢٣٠.

مراجــع البحــث

- **الاعتقاد والصفات** : للبيهقي، دار الكتب العلمية.
- **إشارة التعيين في تراجم النحويين** : عبدالباقي اليماني، د. عبدالمجيد ذياب، نشر مركز الملك فيصل بالرياض ١٤٠٩هـ.
- **الأعـلام** : خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين طبعة ٤ عام ١٣٩٩هـ.
- **الإفصاح عن معاني الصحاح** : لابن هبيرة، المطبوعة مجلدان بمصر، ومجلدان بقطر رئاسة المحاكم القطرية، والمخطوطات منه في ثنايا البحث عند الكلام على الذيل على طبقات الحنابلة.
- **إنباه الرواه عن أنباء النحاة**: للقفطي، محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٠م.
- **إنباه الغمر بأنباء العصر**: ابن حجر، ت حسن حبش، القاهرة ١٣٨٩هـ.
- **البداية والنهاية** : لابن كثير، دار الكتب العلمية، عام ١٤٠٥هـ.
- **البـدر الـطالـع بمحـاسن القـرن التـاسـع** : للشـوكاني، مطبعة السعادة بمصر طبعة أولى ١٣٤٨هـ، وما صور عنها.
- **بركلمان** : تاريخ الأدب العربي طبعة مترجمة لثلثه، والأصل بالألمانية في ستة مجلدات، ثلاثة أصل وثلاثة ملاحق.
- **البلغة في تراجم أئمة اللغة** : للفيروزآبادي، ت محمد المصري دمشق ١٩٧٢م.
- **التاج المكلل** : صديق حسن خان، طبعة الهند على نفقة آل ثاني عام ١٣٨٢هـ.
- **التبيان شرح بديعة البيان** : ابن ناصر الدين ـ مخطوطة بمكتبة عارف حكمت رقم ٩٠٠/٥٠.
- **تحريم النظر في علم الكلام** : ابن قدامة، حققها جورج مقدسي، بالمعهد الفرنسي بسورية سنة ١٩٥٦م.
- **التدمـرية** : ابن تيمية، ت محمد السعودي، شركة العبيكان عام ١٤٠٥هـ.
- **تفسير القرآن العظيم** : ابن كثير تصوير دار المعرفة بلبنان.
- **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد** : للبيجوري، دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.
- **التخليص الحبير** : لابن حجـر، ت شعبان إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٩هـ.
- **توبة ابن عقـيل** : ضمن تحريم النظر في علم الكلام للموافق ابن قدامة.
- **تيسير العزيز الحميد** : سليمان آل الشيخ، المكتب الإسلامي لبنان.
- **جامع الإمام الترمذي** : ت محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتاب العربي لبنان.

- **جامع بيان العلم وفضله** : ابن عبدالبر، تصوير دار الفكر العربي .
- **الجوهر المنضد في طبقات متأخري المذهب** : ابن عبدالهادي هو ذيل ابن عبدالهادي على طبقات ابن رجب، مراجعة محمود الحداد، دار العصامة ١٤٠٨هـ.
- **جزء في إثبات الحرف والصوت والقرآن والرد على الأشاعرة** : لابن عقيل، نشره جورج مقدس في مجلة المعهد الفرنسي عدد ٢٤ (٥٥ ـ ٩١)، وعندي صورة مخطوطة منه .
- **حلية الأولياء** :لأبي نعيم، الطبعة المشهورة ومصوراتها، بيروت ، لبنان.
- **خطط الشام** : محمد كرد علي، دار العلم للملايين عام ١٣٨٩هـ.
- **الدارس في تاريخ المدارس** : للنعيمي ، ت جعفر الحسين، مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٤٨ .
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثانية** : لابن حجر، مجلس دائرة المعارف العثمانيين في الهند سنة ١٣٤٩هـ.
- **الدليل الشافي على المنهل الصافي** : ابن تغري بردي، فهيم شلتوت، طبع مركو البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة.
- **درء تعارض العقل والنقل** : ابن تيمية، ت محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام بالرياض ١٤٠١هـ.
- **ذيل التذكرة** : السيوطي ، هو ذيل طبقات الحفاظ للذهبي ، ت الكوثري دمشق ١٣٤٧هـ.
- **الرد الوافر** : لابن ناصر الدين، ت زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ١٣٩٣هـ.
- **الرد على المبتدعة** : أبوالحسن بن البنا، مخطوط عن دار الكتب الظاهرية.
- **الرسالة الواضحة** : عبدالوهاب بن الحنبلي مخطوط عن دار الكتب الظاهرية.
- **الرسالة المستطرفة** : للكتاني، دار الفكر، ط٣، ١٣٨٣هـ.
- **روضة المحبين** : لابن القيم دار الكتاب العربي لبنان بيروت.
- **الزبد في الأصول لطالب الوصول** : لابن رجب الطوفي، مخطوط عن تشتسربتي دبلن.
- **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد**: مكتبة الإمام أحمد بمكة ١٤٠٨هـ.
- **السنن** : لابن ماجة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي.
- **السنن** : لأبي داود، ت محمد محيى الدين عبدالحميد، طبعة بيروت.
- **سنن النسائي** :بحاشية السيوطي والسندي، تصوير دار المعرفة بيروت.
- **السنن الكبرى** : البيهقي، تصوير الفكر بيروت.
- **سير أعلام النبلاء** : للذهبي، مؤسسة الرسالة بلبنان.
- **الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية** : مرعي الكرمي، ت: نجم خلف ، دار الفرقان ط ٤ سنة ١٤٠٤هـ.

- **شذرات الذهب** : لابن العماد الحنبلي، تصوير لبنان ـ بيروت.
- **شــرح السنة** : للبغوي، ت شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي لبنان.
- **صـلة الخلف بموصول السلف** : للردواني المطبوع ضمن مجلة معهد المخطوطات العربية عدد ٢٦ ـ ٢٩، وخطية عن مكتبة الحرم المكي.
- **الصواعق المرسـلة** : لابن القـيم ت علي الدخيل الله دار العاصمة بالرياض.
- **صحيح البخـاري** : ترقيم البغا، دار ابن كثير واليمامة بالشام.
- **صحيح مسـلم** : محمد فؤاد عبدالباقي ، تصوير لبنان.
- **صحيح ابن حبان، في الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان** : ت كمال الحوت، دار الكتب العلمية سنة ١٤٠٧هـ.
- **صحيح الجامع الصغير** : الألباني، المكتب الإسلامي، بلبنان.
- **طبقات الحفـاظ** : للسيوطي، ت علي عمر، مكتبة وهبة بمصر ١٣٩٣هـ.
- **طبقـات القراء** : لابن الجـرزي ت مستشرق، القاهرة ١٩٣٢م.
- **طبقات الشافعـية** : لابن كثير، طبعة مصر الحديثة.
- **طبقات الشافعية الكبرى** : للسبكي ت الطناحي والحلو، طبع عيسى البابي بمصر سنة ١٣٨٣هـ.
- **العصـر المماليكي في مصر والشـام** : سعيد عبدالفتاح عاشور، دار النهضة العربية بمصر ط٢، سنة ١٩٧٦م.
- **العلل في الحـديث** دراسة منهجية : د. همام سعيد، دار العدوي بعمان ١٤٠٠هـ.
- **فهرس الفهـارس** : للكتاني، عناية إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي.
- **فيض القـدير للمناوي** : تصوير بيروت لبنان.
- **قواعد التحـديث** : لجمال الدين القاسمي ت البيطار، دار إحياء الكتب العربية ـ لبنان.
- **القواعد الأصـولية** : لابن اللحـام، ت الفقي طبع مطبعة أنصار السنة بمصر، ونسخة خطية بالمكتبة المحمودية بالمدينة.
- **كتاب التوحـيد** : للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومعه القول السديد لابن سعدي.
- **كتاب السـنة** : لابن أبي عاصم، تخريج الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان.
- **كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون** : لحاجي خليفة، وكالة المصرف الجليلة سنة ١٣٦٠هـ.
- **كشف الخفاء ومزيل الألباس** : للعجلوني، دار إحياء التراث، لبنان.
- **لوامع الأنوار البهية** : للسفاريني على نفقة آل ثاني.

- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** : للهيثمي ، مكتبة المعارف بيروت .
- **مجموع فتاوي ابن تيمية** : جمع ابن قاسم طبعة الملك فهد بمصر.
- **مختصر طبقات الحنابلة** : للشطي ، بمطبعة الترقي بدمشق عام **١٣٣٩هـ**.
- **المحـــلى** : لابن حزم ، ت أحمد شاكر، إدارة الطباعة المنيرية بمصر **١٣٤٧هـ**.
- **مختصر الصواعق المرسلة** : للموصلي ، دار الكتب العلمية .
- **المختار في أصول السنة لابن البنا** : نسخة مخطوطة عن دار الكتب الظاهرية أو المطبوعة تحقيق عبدالرازق البدر، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة .
- **مسند الإمام أحمد**: تصوير بيروت عن طبعة الميمينة بمصر.
- **المستدرك للحاكم** : دار المعرفة بيروت .
- **مسائل صالح عن أبيه الإمام أحمد** : مخطوط دار الكتب المصرية وطبع بتحقيق محمد فضل الرحمن ، الدار العلمية بالهند .
- **مسائل ابن هاني** : ت زهير الشاويش المكتب الإسلامي .
- **مسائل ابن داود** : ت رشيد رضا، صورة عن طبعة المنار.
- **مسائل عبدالله** : ت علي المهنا، مكتبة الدار بالمدينة .
- **مسائل البغــوي** : ت عمر عبدالمنعم ، مؤسسة قرطبة ، ت الحداد بدار العاصمة بالرياض .
- **المسائل التي حلف عليها أحمــد** : لأبي يعلى ت الحداد، دار العاصمة بالرياض.
- **المســائل** : لغلام الخلال عبدالعزيز بن جعفر، ت محمد زهيران، نشر المكتب الإسلامي ، بلبنان .
- **المسائل رواية الكوســج** : محقق رسائل ماجستير ودكتوراه بالجامعة الإسلامية بالمدينة .
- **مشكــاة المصابيح** : للخطيب التبريزي ، ت الألباني ، المكتب الإسلامي .
- **المقاصد الحســنة** : للسخــاوي ت عبدالله الصديق وعبدالوهاب عبداللطيف، الخانجي بمصر.
- **معجــم المؤلفين** : عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، لبنان عام **١٤١٤هـ**.
- **معجم المؤرخين الدمشقيين** : صلاح الدين المنجد، دار إحياء الكتاب الجديد عام **١٣٩٨هـ**.
- مراتب **النحويين** : ت الطيب اللغوي ، ت محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة **١٩٥٥م**.
- **معجم الأدبــاء** : ياقوت الحموي، نشر أحمد فريد رفاعي بمصر **١٩٣٦م**.
- **المقصــد الأرشد** : لابن مفــلح ، مخطوط بمكتبة عارف حكمت رقم **٢٣٣٨** في ثلاث مجلدات .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ـ **منادمة الأطلال** : لابن بدران، المكتب الإسلامي على نفقة آل ثاني.

ـ **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي** : ابن تغري بردى، مخطوطة عارف حكمت ٣ مجلدات رقم ٢٣٧ ـ ٢٣٩/ ٩٠٠.

ـ **المنهج الأحمد للعليمي في تراجم أصحاب أحمد** : ت محيي الدين عبدالحميد، مصر ١٩٦٥م.

ـ **مؤلفات ابن الجوزي** : عبدالحميد عجلوني، جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت.

ـ **هدية العارفين** : إسماعيل باشا، طبعة استانبول عام ١٩٥١م.

ـ **الورع الإمام أحمد** : لأبي بكر الخلال، ت محمد زغلول، دار الكتاب العربي، لبنان.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی